الفصل الأول

نظام القرابة

١ – مقدمة .

٢ – نظم القرابة ذات الخط الواحد .

٣ – حلول وسطى توفيقية .

٤ – الانتساب الثنائى .

٥ – نظم قرابية متنوعة .

٦ – القرابة الخطية (المباشرة) والقرابة الجانبة (غير المباشرة) .

٧ – الأصهار .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

نظام القرابة

١ – مقدمة :

أوضحنا فيما سبق أن الأسرة مؤسسة عامة من المؤسسات الموجودة فى أى مجتمع على امتداد رقعة العمران البشرى المعروف بأبعاده الزمانية والمكانية على السواء . ولكن الحقيقة المكملة لهذا المبدأ العام هى أن خصائص المجتمع الإنسانى وظروفه هى التى تحدد فى كل حالة الشكل الذى تتخذه الأسرة فى هذا المجتمع . ويأتى على رأس تلك الخصائص والظروف الاجتماعية الانساق الاقتصادية والثقافية فى المجتمع ، فهى أبرز العوامل المؤثرة فى الأسرة . وإذا دققنا النظر فى تأثير المجتمع على الأسرة ، لوجدنا هذا التأثير ينفذ من خلال التنظيم الاجتماعى للزواج والقيود والمحرمات التى تفرضها على العلاقة الزوجية ، ونظم النسب وبالتالى شرعية نسبة المواليد وقواعد اللا شرعية ، ونظم القرابة ، واكتساب اسم الأسرة ، ونظم الملكية ، والمهنة ، والمكانة ، والهيبة ، والوصاية ، ونظم الإعالة ، وتوزيع السلطة داخل الأسرة وخارجها ، وتقسيم العمل والنشاط الاقتصادى بين الرجل والمرأة ، وحقوق وواجبات الوالدين وغيرها من الأقارب ، وحقوق وواجبات الأطفال قبل والديهم وقبل غيرهم من الأقارب .. تلك فقط طائفة من الأمثلة التى توضح لنا بعض مجالات تأثير المجتمع على الأسرة من شتى جوانب حياتها[1] .

وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن نتوقع أن تلك النواحى والأفكار سوف تتغير حتما مع تغير البناء

---

(١) انظر دراسات وشروحا مفصلة لهذه النقاط فى المراجع التالية :

Richard Thurnwald, **Wesen, wandel und von Familie, Verwandtschaft and Bubden**, 1932.
Robert Lowie, **Social Organization**, London 1948.
Meyer F. Nimkoff, **Comparative Family Sytsems, Boston**, 1955.
William N. Stephens, the **Family in Cross — Cultural Perspective**, New York, 1963.

وقد اعتمدنا على تلك المراجع فى عرض جانب كبير من الحقائق الواردة فى هذا الفصل .

الاجتماعى العام للجماعة ومع تغير ظروفها وأوضاعها الاقتصادية ، ونظام السلطة فيها ، وتغير ثقافتها الدينية . فتلك العوامل مجتمعة هى التى تحدد مكانة الأسرة فى المجتمع .

٢ – نظم القرابة ذات الخط الواحد :

من أهم العوامل الهامة فى تمييز نظم القرابة عن بعضها ، خاصة نظم القرابة ذات الخط الواحد ، النظم الأمومية ، والنظم الأبوية حيث يتم الانتساب فى النوع الأول فى خط الأم ، ويتحدد الانتساب فى النوع الثانى فى خط الأب .

ويرجع الفضل الكبير فى إلقاء الضوء على هذه المشكلة بشكل محدد وملموس إلى الأنثروبولوجى باخوفن Bachofen الذى نشر كتابه عن « حق الأم » Mutterrecht ويعنى فى حقيقته « سيطرة الأم » لأول مرة عام ١٨٦١ . فقد طور فى هذا الكتاب نظريته الشهيرة عن نظام الانتساب للأم ، وأوضح بكل جلاء اختلاف النظام الأمومى عن النظام الأبوى اختلافا بعيداً[٢] .

ومن الأمور المعروفة تاريخيا أن كثيرا من جوانب هذا الموضوع كانت معروفة لجمهور الباحثين والعلماء والمتخصصين قبل ظهور مؤلف باخوفن بفترة طويلة . ومن الدلائل المؤكدة التى تثبت ذلك أن أحد رجال الدين الجزويت الفرنسيين – وهو لافيتو J. Fr. Lafitau – كان قد نشر فى عام ١٧٢٤ شرحا وافيا لنظم القرابة الأمومية عند الهنود الحمر الأمريكيين [٣] . أى أن مؤلفه قد سبق مؤلف باخوفن بنحو مائة وخمسين عاما . كذلك استند باخوفن فى تأسيس نظريته على إحدى الملاحظات التى كان قد أبداها المؤرخ الإغريقى الكبير هيرودوت ، حيث أشار إلى أن الـ Lykern كانوا يرثون أسماءهم عن أمهاتهم[٤] .

---

(٢) انظر كتابه :

Johann Jacob Bachofen, **Das Mutterrecht**, 1861.

وقد صدرت طبعة حديثة للكتاب ضمن الأعمال الكاملة للمؤلف التى نشرت فى بازل بسويسرا فى عام ١٩٤٨ (المجلدان الثانى والثالث) .

(٣) Cf. J. Fr. Lafitau, **Moeurs des sauvages americains, comparées aux moeurs des premiers temps**, Paris, 1724

(٤) هناك عديد من الدراسات والشواهد فى هذا الاتجاه ، ونكتفى بالاشارة الى مقال جامع فى موسوعة التاريخ القديم (بالألمانية) حيث تجد اشارات وافية الى كثير من المراجع ووجهات النظر حول هذه النقطة ، انظر :

Pauly – Wissowa, **Realenzyklopadie des Altertums**, Anhang VI, Stuttgart, 1935, PP. 557 — 571, Art. Mutterrecht.

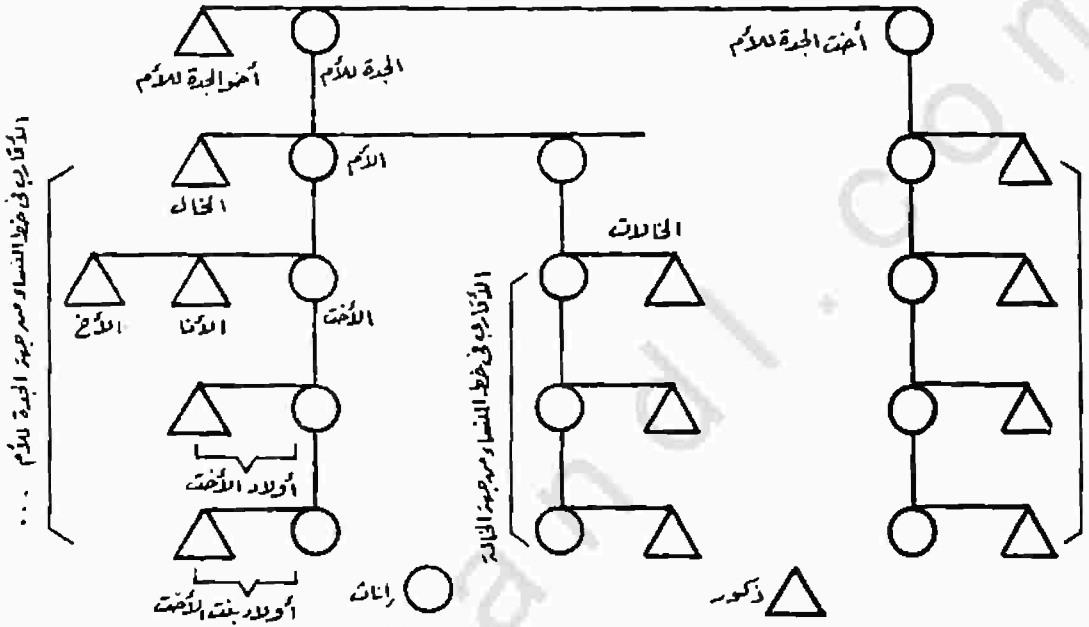

الشكل رقم (١) : الانتساب فى خط الأم (القرابة الأمومية) يوضح الشكل التخطيطى خمس أجيال من أقارب رجل معين (الأنا) فى خط الأم . ونلاحظ أنه على الرغم من أن الأقارب الذكور فى خط الأم يعدون ضمن الأقارب ، الا أن أبناء هؤلاء الذكور لايدخلون ضمن الأقارب الأموميين . كما نلاحظ أيضا أن أقارب الأب لاوجود لهم على خريطة القرابة اطلاقا .

المصدر : نقلا عن :

John Lewis Gillin and John Philip Gillin, An Introduction to Sociology, New York, 1942, p. 223.

ولكننا يجب ألانستطرد فى هذا التفكير بلانهاية ونتصور أن باخوفن لم يكن له فضل الريادة فى توضيح هذا الموضوع . ذلك أنه صاحب الفضل الأول بلا جدال فى تحويل تلك الملاحظات والإشارات والشواهد العابرة إلى نظرية عامة فى تطور القرابة . وقد كانت النظرية كما نعرف تتفق كل الاتفاق وتيار الفكر التطورى الذى كان سائدا آنذاك (بل وعلى امتداد القرن التاسع عشر كله) . فكان العلماء الاجتماعيون مشغولين بمناقشات هامة حول النشأة الأولى والأصل الأول لهذا النظام أو ذاك ، وكان من بينها نظام القرابة وسيادة الأم ، هل هو النظام الأسبق ، أم نظام سيادة الأب هو الأسبق . أما اليوم ومع ظهور التيارات الجديدة فى حقل النظرية الاجتماعية ، فلم تعد مشكلة « تصيد الأصل » هى الشغل الشاغل للمفكرين الاجتماعيين . وبذلك انتقل هذا الموضوع برمته إلى دائرة الظل [٥] .

ومع ذلك فإذا أردنا أن ندلى برأى فى آخر ما انتهى إليه الجدل حول « أصل » هذا النظام ، وعن أسبقيته على النظام الأبوى (أعنى نظام الانتساب للأب) فإننا نؤكد أن الشواهد المتاحة قد أوضحت أن النظام الأمومى قد يسبق فى بعض المجتمعات النظام الأبوى ، فى حين أن لنظام الأبوى يكون فى مجتمعات أخرى هو الأسبق والأقدم عهدا . ويتوقف تتابع النظامين وغيرهما من النظم على التطور الاقتصادى للمجتمع . من هذا مثلا أنه عندما تنشأ مجتمعات الصيادين التى تقوم فيها النساء بفلاحة البساتين (فلاحة مساحات صغيرة من الأرض حول البيت عادة) [٦] . نجد النساء يكتسبن مكانة متميزة عن الرجل ويتمتعن بسلطةواضحة عليه ، وهو أمر قد يحدث بشكل فجائى كاستجابة مباشرة لهذا النظام الاقتصادى الاجتماعى الجديد . وتحتل هذه المكانة

---

(٥) من بين العلماء الذين ساهموا بدور بارز فى هذا النوع من الدراسات والجدل النظرى الواسع النطاق – أذكر على سبيل المثال :

— J. Ferguson Mac Lennan, Sir John Lubbock, Lord Avesbury, Lewis H. Morgan, A.H. Post, Friedrich Engels,

Julius Lippert, C.N. Starcke, F. von Hellwald, E. Gross, J. Kobler, Heinrich Cunow, Sir James Frazer, Robertson Smith, Emile Durkheim, Robert Briffault, J.R. Ronhaar, Claude Lévi-Strauss... etc.

أما بالنسبة للوضع الراهن ، انظر المؤلف التالى :

David M. Schneider and Kathleen Gough, (eds). Matrilineal Kinship, Berkeley, Calif, 1961.

كما يمكن للقارئ أن يرجع إلى المؤلف التالى باللغة العربية ، نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمود عودة وزملاؤه ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٨ . خاصة الفصول الخامس والسابع والحادى عشر .

(٦) انظر بيلز وهويجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، (فى جزأين) ترجمة الدكتورين محمد الجوهرى ، والسيد الحسينى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٧٦ ، الفصل الحادى عشر ، ص ص ٤٦١ – ٥٠٨ .

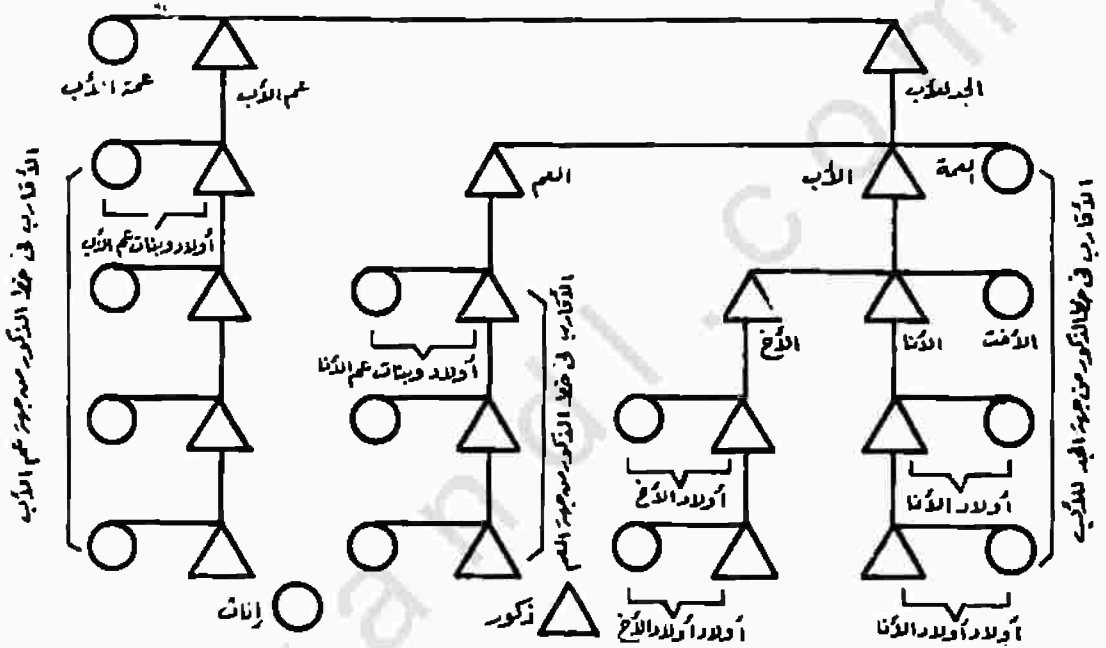

الشكل رقم (٢) : الانتساب في خط الأب (القرابة الأبوية)

يوضح هذا الشكل التخطيطي خمس أجيال من أقارب رجل معين (الأنا) في خط الأب . ونلاحظ هنا أيضا أنه على الرغم من أن الأبناء الإناث في خط الأب يدخلن ضمن الأقارب ، الا أن أبناء أولئك الأناث لايدخلن ضمن أقارب الشخص (الأنا) . كما أن أقارب الأم لاوجود لهن على خريطة القرابة اطلاقا .

المصدر : نقلا عن جيلين وجيلين ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

obeikandl.com

الرفيعة أيضاً المرأة فى المجتمعات التى تمارس فيها النساء الحرف اليدوية كالحدادة والنجارة وصناعة القوارب وغيرها .

على أن هذا الجدل العلمى حول أصل نظام الزواج والأسرة لم يقتصر على الحدود العلمية ، إنما خرج إلى دائرة الجدل السياسى واستغل كسلاح لتأييد دعاوى سياسية معينة ، ومن ثم أثرت السياسة على آراء بعض العلماء واستغلت آراء علماء آخرين لتدعيم مواقف سياسية معينة . فنحن نعرف أن فريدريش انجلز قد اعتنق وجهة نظر باخوفن فى سيادة الأم وأسبقية القرابة الأمومية على القرابة الأبوية [٧] . وهكذا استند البعض منذ قيام الثورة الروسية فى عام ١٩١٧ والثورة التركية فى عام ١٩٢٣ إلى نظرية باخوفن لتدعيم الدعوة المطالبة بحقوق المرأة على أساس أن سيادة الأم هى الأصل [٨] .

ولا شك أن هذا الجدل الطويل قد أدى إلى تكوين بعض الاتجاهات ونمو بعض الآراء النظرية ، التى احتل بعضها مكانة بارزة لفترة من الزمن ، بل مازال القليل منها متداولا وشائعا على الساحة العلمية حتى الوقت الحالى ، ومن ثم لا نرى غضاضة فى أن نلقى الضوء عليها بسرعة ، بسبب ما حظيت به من اهتمام وانتشار [٩] .

---

(٧) انظر على سبيل المثال :

د . ثروت أنيس الأسيوطى ، الأسرة بين الدين والقانون ، الجزء الأول ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥ .

وانظر كذلك .

Friecrich Engels, **Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staates**, Zurich, 1884.

وهو مترجم الى اللغة العربية ، فريدريش انجلز ، أصل الأسرة ، والملكية الخاصة والدولة ، دار التقدم ، ١٩٦٢ .

(٨) وهناك دراسة أوضحت ابعاد هذا الاتجاه فى الاتحاد السوفيتى فى ثنايا دراسة علمية مستقلة ، كتبها فانينا هالله (بالالمانية)

Fanina W. Halle, Frauen des Ostens.

« نساء الشرق » ، زيوريخ ، ١٩٣٨ . أما فى تركيا فقد عمل « زياجوكالب » على ابراز ضرورة تحرير المرأة على أساس أن الأتراك القدماء كانوا يعرفون نظام سيطرة الأم فى الماضى البعيد ، وقد حاول جوكالب أن يقيم الدليل على صحة هذا الزعم بالاستعانة ببعض الشواهد التاريخية والأثرية . انظر الكتاب الذى نشره (بالفرنسية) زياد الدين فخرى عن زيا جوكالب ، حياته وآراؤه السوسيولوجية : —

Ziyaeddin Fahri, Ziya Gokalp, Sa vie et sa sociologie, Paris1938, PP. 142 - 144.

(٩) ولو أن هذا الذيوع النسبى أصبح قاصرا على الصحافة السياسية (خاصة المجلات الثقافية ذات الاتجاهات السياسية) وعلى الكتابات الماركسية ذات الطبيعة الغوغائية الموجهة إلى الجماهير غير المتخصصين والتى ترتدى ثوب الدعاية والاثارة ، وليس ثوب التحليل العلمى الدقيق . ومع ذلك فان هذه الوسائل — برغم بعدها عن العلم ودوائر المشتغلين به فانها تمارس تأثيرا على جماهير القراء بصفة عامة ، وعلى مثقفى البلاد النامية على وجه الخصوص الذين يتغذون أساسا على هذا اللون من أدوات التثقيف (اذا تيسرت) .

وقد تمثلت جهود بعض المدافعين عن هذا الرأى فى التماس نظام الانتساب للأم فى بعض المجتمعات التى لم يكن معروفا فيها أصلا ، كمجتمعات الساميين القدماء ثم المجتمعات التركية القديمة بعد ذلك . وهدفهم من ذلك واضح إلى حد كبير ، إذ أنهم يريدون أن يثبتوا أن نظام الانتساب للأم عام وشامل وكان موجودا فى كل المجتمعات على اختلافها .

قد كان من أبرز من درسوا هذا النظام عند الساميين روبرتسون سميث فى كتابه عن القرابة والزواج فى بلاد العرب قديما[١٠] ، وكذلك أنجرت Engert فى كتابه عن نظام الزواج والأسرة عند العبريين [١١] والجدير بالذكر أن إثبات وجود نساء قويات أو نساء كن يشغلن مناصب بارزة فى المجتمع لا يعنى على الإطلاق أن الانتساب فى هذا المجتمع كان فى خط الأم . لأن نظام الانتساب للأم كما نعلم نظام متكامل له معالمه وله ظواهره ، التى لا يصح أن نخلط فيها أو نضل الطريق إلى معرفتها .

ثم إن أتباع هذا الاتجاه قد تناسوا أو تغافلوا عن حقيقة هامة وهى أن نظام الانتساب للأم ليست لها علاقة أبدا بنظام سيطرة الأم .

حيث نلاحظ فى المجتمعات الأمومية (التى تقوم فيها القرابة على الانتساب للأم) ذاتها ، أن الرجال هم أصحاب السلطة وهم الذين يشغلون مواقع المسئولية الاجتماعية بأنواعها . كل ما فى الأمر أن طبيعة هؤلاء الرجال (أى درجة قرابتهم للفرد) تختلف عن طبيعتهم فى النظام الأبوى . فنجد بدلا من الأب (فى النظام الأبوى) الخال هو المسئول عن الطفل وعن توجيهه . أما من حيث نظام السلطة فيوصف هذا النظام باسم « صلة الخؤولة » Avunculate أى العلاقة الخاصة بين الخال وابن الأخت [١٢] .

ويختلف عن هذا النظام الأمومى نظام الانتساب للأب . وقد لاحظ بيلز وهويجر فى كتابهما

---

(١٠) W. Roberton Smith, **Kinship and Marriage in Early Arabia,** London, 1885.
Thad. Engert, **Ehe - und Familienrecht** der Hebraer, Munchen, 1905

(١٢) وان كنا كثيرا مانلاحظ على أى حال أن مجتمعات الانتساب للأم تعرف فى كثير من الأحيان نظام تحرر المرأة إلى حد كبير ، أو على الأقل بشكل ليس مألوفا لنا فى مجتمعات اليوم ، أو فى المجتمعات التى يقوم على الانتساب للأب . ونذكر من هذه المجتمعات على سبيل المثال . الثقافة المينوية فى كريت ، وكثير من الشعوب التى كانت تعيش على شواطئ البحر الأسود ، وعند التوسكيين ، ثم بعد ذلك عن الكلتيين (فى جنوب فرنسا قديما) وعند أبناء اقليم الباسك (فى شمال فرنسا) ، وعند بعض شعوب المحيط الجنوبى كسكان جزر التوروباند ، وعند كثير من شعوب الهنود الحمر الأمريكيين ، وأخيرا عند كثير من الشعوب الافريقية الواقعة جنوب الصحراء (فى أفريقيا السوداء) . فجميع تلك الشعوب كانت تعطى للمرأة فيها حريات كبيرة ليس مألوفا أن تحصل عليها النساء فى مجتمعات الانتساب للأب ، ولامألوفا أن تحصل على بعضها النساء فى مجتمعات اليوم . ولكن هذه الحريات شىء ، والقول بسيطرة الأم شىء آخر . ولذلك يجب أن نتجنب الخلط .

« مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة » أن العشائر التى تقوم على نظام الانتساب للأم تشبه إلى حد كبير العشائر التى تقوم على نظام الانتساب للأب . « فالواقع أن شكلى العشيرة متشابهان أشد التشابه فى البناء والوظيفة ، ولا يختلفان إلا من حيث خط القرابة الذى يتخذ معيارا لتحديد انتماء الفرد للجماعة . وقد نوقش سبب هذا الاختلاف بإفاضة ، دون أن ينتهى النقاش إلى نتيجة مقنعة فعلا . ذلك أن كثيرا من الآراء قد أدت إلى تشويش الموضوع لا إلى توضيحه . فالموضوع ليس هو سيطرة الرجال أو النساء على مجتمع من المجتمعات ، وإنما هو يدور فقط حول الاعتماد على أحد خطى الانتساب بدلا من الخط الآخر . فالعشائر الأمومية لا تعنى بالضرورة أن النساء هن اللاتى يحكمن المجتمع ، كما أن وجود العشائر الأبوية لا يعنى أن النساء يعتبرن إماءأو منقولات . فسيطرة الأم « (أو الحكم المطلق للنساء Matriarchy) وسيطرة الأب (أو الحكم المطلق للأب Patriarchy حالات متطرفة نادرة كل الندرة . والواقع القائم فى معظم المجتمعات (سواء كانت أمومية أوغير ذلك) أن الفروق بين مكانة الرجل والمرأة فروق طفيفة نسبيا »[١٣] .

ويتخذ نظام الانتساب للأب صورتين اثنتين تقريباً ، يمكن أن نسمى إحداهما الصورة المخففة للأسرة الأبوية ، (وهى التى ينتشر وجودها عند كثير من مجتمعات الصيادين البدائية) ، والأخرى صورة متطرفة تقوم على تركيز السلطة فى يد الأب (بحيث تتخذ شكل نظام سلطة الأب Patriarchy وذلك عند مجتمعات رعاة الحيوانات الكبيرة . ومن الجدير بالذكر أن تركز السلطة فى يد الأب على هذا النحو يرتبط بوجود عبادة الأسلاف (الذكور طبعا) . وقد كان هذا النظام معروفًا وسائدا عند الصينيين القدماء واليابانيين القدماء ، وعند الهندوس ، والعبريين القدامى ، والجرمان (أسلاف الألمان) ، والإغريق ، والرومان ، والعرب القدماء ، وعند السلافيين وكثير غيرهم من الشعوب[١٤] حيث نلاحظ لدى كافة الشعوب أن المرأة تحتل مكانة

---

(١٣) انظر رالف بيلز وهارى هوبجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتورين محمد الجوهرى والسيد الحسينى دار نهضة مصر للطباعة والنشر (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص . ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(١٤) بالنسبة للصينيين انظر :

-- Han-yi Feng, **The Chinese Kinship System,** Cambridge, Mass., 1948.
-- Francis L.K. Hsu, **Under the Ancestor's** Shadow, New York, 1948.

أما بالنسبة لليابان ، انظر :

-- Richard K. Bearudsley, John W. Hall and Robert E. Ward, **Village Japan,** Chicago, 1959.
- Seiichi Kitano, **«Dozoku and Kindred in Japanese Rural Soceity»,** in: Reuben and René Koenig, (eds.) **families in East and West. Socialization Process and Kinship Ties,** Paris, The Hague, 1970, pp. 248— 269. =

أدنى من الرجل من الناحيتين الاجتماعية والقانونية على السواء . وإن كان من البديهى أن تلك المجتمعات تختلف فيما بينها فى مدى سوء وضع المرأة ، ولكنها مع ذلك لا تخرج عن هذا الإطار العام[١٥] فالقاعدة العامة أن تذهب المرأة عند الزواج للإقامة فى بيت أسرة زوجها ، بحيث تنقطع صلتها أو تكاد مع أسرتها هى التى نشأت وتربت فيها . وهناك بعض الشواهد القوية والواضحة التى تؤكد مدى انتماء الزوجة الجديدة لأسرة زوجها وانفصالها عن أسرتها . فهى لاتلبس الحداد ولا تتقيد بقيود (وهى كثيرة) إذا مات لها أقرب أقاربها (كأبيها أو أخيها أو عمها . . إلخ) ، ولا تفعل ذلك إلا عند وفاة واحد من أفراد أسرة زوجها ، فتلبس عليهم الحداد وتتقيد بكل قيوده . فهى تخضع خضوعاً تاماً لأسرة زوجها ، بحيث أنه يحدث بعد وفاته أن تخضع هى لوصاية ابنها .

وقد حاول بيلز وهويجر فى كتابهما سالف الذكر أن يلقيا مزيدا من الضوء على الفروق بين نظامى الانتساب للأم والانتساب للأب ، فلاحظ أنه من الممكن تفسير الفروق فى تحديد مكان

= وعن الهند انظر :

Milton Singer (ed.) **Traditional India**, Philadelphia, 1959.

— Elisabeth Camerling, uber **Ahnenkult in Hinterindien**, Rotterdam, 1928.

وانظر كذلك بوتومور ، تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة وتقديم الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

وبالنسبة للعبريين القدماء انظر :

C. Gruneisen, **Der Ahnenkult und die Urreligion Israels, Halle 1900.**

— وعن اليونانيين والرومان القدماء انظر .

E. Bethe, **Ahnenbild und Familiengeschichte bei Romern und Griechen,** Munchen, 1935.

وأخيرا بالنسبة للسلافين ، انظر :

E. Scheneewcis, **Grundriss des Volksglaubens und Volksbrauches der Serbokroaten,** Celje, 1935.

وانظر أخيرا رينيه كونيج ، الأسرة المعاصرة (بالألمانية ميونخ ، ١٩٧٤ .

R. Koenig, **Die Familie der Gegenwart.**

(١٥) لم تكن المرأة ذات شأن فى المجتمع العربى القديم (قبل الاسلام ، الا فى بعض كبار القبائل ، اذا كانت المرأة تنتمى الى بيت رفيع ، كما كان الشأن فى بعض نساء قريش كهند امرأة أبى سفيان ، وكالسيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبى عليه الصلاة والسلام . فقد كانت لها مكانتها قبل الاسلام ، وقبل الزواج من النبى . أما فى غير هذه الحالات الفردية فلم يكن للمرأة اعتبار ، وكانت بعض القبائل تئد البنات خشية العار ، وكانت حالهم كما ذكر القرآن الكريم عنهم (الآية) . ولم تكن المرأة تأخذ ميراثا ، بل كان الميراث للذكور ، لأنهم الذين يكون بهم النصرة . ولم تكن قرابة الأم ذات اعتبار : بل كان الاعتبار كله لقرابة الأب . انظر مزيدا من التفاصيل عند محمد أبو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، دار الفكرة العربى ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٣ .

الإقامة – كما نرى بالنسبة للأسرة المشتركة التى تقوم على نظام السكنى عند الأب وتلك التى تقوم على نظام السكنى عند الأم – من الممكن تفسيرها فى ضوء الدرجة التى يتحتم بها على الرجل أو المرأة التعاون فى الاضطلاع بالوظائف الاقتصادية الأساسية فى المجتمع ، فحيثما يكون المألوف وجود التعاون بين الرجال فى مجتمع مكون من أسر مشتركة ، لا ندهش عندما نجد المجتمع يستفيد من التجمع المعتاد للذكور فى الأسرة لتكوين قوة عاملة فعالة . ومن ثم يأخذ المجتمع – كما نرى عند شعب التانالا Tanala بنظام الإقامة عند الأب . ولكن حيثما تعمل النساء عادة متعاونات فى أداء الأعمال المختلفة (ولا يفعل الرجال ذلك) ، نجد أن الأسرة المشتركة القائمة على السكنى عند الأم ، هى الأنسب لهذه العادة (كما نرى عند شعب الايروكوا وظاهرة البيت الطولى وسكانه) .

ولكن ليس من الضرورى أن ترتبط عشيرة الانتساب للأب دائماً بنظام السكنى عند الأب ، ولا أن ترتبط عشيرة الانتساب للأم بنظام السكنى عند الأم ، وإن كان هذا الارتباط متكرر الحدوث فى الواقع . ويعد سكان جزر التروبرياند فى ميلانيزيا نموذجا للارتباط المضاد لذلك ، إذ أنه على الرغم من أن هذا المجتمع يأخذ بنظام السكنى عند الأب ، فإن العشائر تقوم على الانتساب للأم . وهكذا نجد أن الأطفال يولدون ويربون حتى يبلغوا سن المراهقة فى عشيرة الأب وفى بيته ، على الرغم من أنهم ينتسبون بحكم الميلاد لعشيرة الأم . ولضمان ذلك لا يتلقى الأطفال موارد إعالتهم وتعليمهم من الأب ، وإنما من خالهم – الذى ينتمى إلى عشيرتهم – والذى يعيش فى قرية عشيرته ويزورهم من حين لآخر ليحضر لهم الطعام ويسهر على تعليمهم وتأديبهم . وعند الزواج تنتقل المرأة إلى قرية زوجها ، أما الرجل فينتقل إلى عشيرة خاله ، لكى يكتسب وضعه المناسب فى عشيرة أسلافه ، ولذلك فإن عضوية العشيرة لا تتحدد فقط على أساس العوامل التى يبدو واضحاً أنها تلعب دورا بارزا فى الاختلاف بين الأسر المشتركة ذات السكنى عند الأب وتلك ذات السكنى عند الأم ، لأن هذه العضوية لا تعتمد إطلاقا على مكان الإقامة .

إلا أنه يبدو من الممكن أن نتبين نوعا من الارتباط بين الاختلاف فى نظام الانتساب للأم والانتساب للأب وبين بعض الآراء السائدة فى الثقافة ، مثل القيمة النسبية للرجل والمرأة فى نظر المجتمع . فنجد عند الايروكوا ان المرأة فى بدئة الانتساب للأم تمثل نواة الأسرة ، وهى المسئولة وحدها عن إنتاج المواد الغذائية الأساسية كالذرة ، والفول ، والقرع . وتمثل تلك المواد الغذائية – وبالتالى عمليات إنتاجها – مكانة أسمى بكثير من المواد الغذائية المستمرة من عمليات الصيد البرى وصيد الأسماك . إذ أن العمليات الأخيرة ليست بذات عائد مؤكد على الرغم من أن القبيلة تعيش فى بيئة طبيعية غنية بها . ويرجع ذلك إلى أن حملات الإغارة المستمرة – وما تتطلبه

من الحذر الدائم والاستعداد للدفاع – تجعل من الصعب على الرجال تهيئة كميات كافية منها يمكن الاعتماد عليها . أما المحصولات الزراعية فهى – على العكس من ذلك – تمد السكان بمواد غذائية أكثر انتظاماً ، لأن المزارع تتميز بأنها قريبة مكانيا ومهمة حراستها والإشراف عليها أيسر كثيراً . فالنساء يتمتعن – إذن – بسلطة يدعمها ما يقدمنه من خدمات للمجتمع المحلى ، تبدو ظاهرة جلية فى كل جانب من جوانب حياة قبائل الأيروكوا : العائلية ، والاقتصادية ، والسياسية والدينية على السواء .

ونجد – على خلاف هذا – شعب الباجندا الذى يعيش فى شرق أفريقيا ، حيث تقوم العشائر هناك على نظام الانتساب للأب ، على الرغم من أن المرأة عندهم هى المسئولة عن توفير المواد الغذائية الرئيسية ، كما هى الحال تقريبا عند الايروكوا . فعند الباجندا تضطلع المرأة بجميع الأعمال الزراعية تقريبا ، فيما عدا الأعمال الشاقة فقط – كتطهير الأرض من الغابات – وهى التى يوكل أمرها إلى الرجل . ومع أن الرجال يسهمون فى توفير المواد الغذائية – عن طريق الصيد البرى وصيد الأسماك ؟ إلا أن نسبة ما يقدمونه أقل أهمية بكثير مما تقدمه النساء . فالبيت الباجندى العادى يعتمد اعتمادا فائقاً على نبات « لسان الحمل » ، أما اللحوم والأسماك فهى – ان توافرت – تعد من قبيل الرفاهية .

إلا أن هناك نشاطاً آخر – من طبيعة اقتصادية أيضاً – يظهر الرجل فيه كفاءة أكبر ، ذلك أن لدى الباجندا تنظيما اجتماعيا وسياسيا على جانب كبير من التطور ، فهم يبلغون نحو مليون نسمة يعيشون فى ظل دولة ملكية ، يحكمها ملك يتوارث العرش ، يعاونه عدد كبير من موظفى البلاط ، وزعماء القبائل ، وزعماء الوحدات الأصغر الذين يعينهم الملك فى مناصبهم . ويمثل شن الحرب نشاطا اقتصاديا فائق الأهمية ، كما يحتاج إلى عدد كبير من الرجال كى يتم بنجاح . ذلك أن النساء لا يشاركن فى الحملات الحربية إطلاقا ، اللهم إلا كخدم ، وعندما يحدد الملك ومستشاروه موعد الحملة الحربية السنوية ضد أعدائهم التقليديين ، تحشد أعداد ضخمة من الرجال ، ويتحرك الجيش إلى خارج حدود المملكة ليتخذ لنفسه قاعدة للعمليات الحربية . ومن تلك القاعدة تنطلق جماعات صغار نسبيا للإغارة والقيام بعمليات النهب والسلب ولكن لما كان العدو مستعدا للدفاع ، فإن تلك العمليات الصغيرات نسبيا تتحول إلى معارك حامية بين جيشين كبيرين ، وتتسبب فى سقوط عدد ضخم من الضحايا . ويتعهد المحاربون بالقتال بشجاعة والموت إذا استدعى الأمر وذلك دفاعاً عن مليكهم ، ومما يلزم المحارب بالوفاء بتعهده أن إخفاقه فى تحقيقه سيجلب عليه الكراهية ، وينتهى الأمر بمصادرة ثروة المجرم الذى نكث العهد . أما الفوز فى

الحرب فيجلب على صاحبه الشرف والهيبة ، هذا طبعا علاوة على ما يعود عليه من ثروة طائلة . وكثيرا ما تؤخذ أعداد كبيرة من النساء كغنائم ، وتوزع على المحاربين المبرزين كمكافاة على شجاعتهم . ويستأثر الملك بنصف غنائم الحرب المادية ، ذلك أن الحروب تمثل أحد موارد الدخل الرئيسية للبيت الملكى وللحكومة .

وكذلك نجد أن الرجال هم الصناع اليدويون المهرة عند الباجندا ، فنهم عمال بناء المساكن ، والحدادون ، والنجارون ، ونجارو القوارب ، وعمال صناعة الجلود ، وصناع الأوانى الخزفية وما إلى ذلك ، وتباع منتجات كل تلك الحرف ، علاوة على فوائض المحصولات ، فى أسواق تجارية كبرى تقام بصفة دورية . ويشرف على الأسواق موظف حكومى يعينه الملك ليحافظ على النظام ، ويحصل ما قيمته ١٠٪ ضرائب على جميع المعاملات التجارية . وتمثل حصيلة تلك الضرائب مصدرًا هاما آخر من مصادر ميزانية البيت الملكى .

وإزاء هذه الظروف الاقتصادية لا تدهش عندما ترى الرجل يتمتع بمكانة رفيعة عند الباجندا ، وخاصة فى نظر الدولة ، فى الوقت الذى تمثل فيه المرأة مكانة أدنى منه بكثير . إلا أن هناك عاملا آخر يجب ألا نسقطه من الاعتبار . فرغم قلة معلوماتنا عن تاريخ الباجندا ، إلا أنه يبدو واضحا أن المملكة ظاهرة حديثة نسبيا ، وأن الذين أسسوها أبناء شعب يقوم برعى الماشية . وكان هذا الشعب قد هاجر إلى ذلك الإقليم قبل الفترة التى يوجد لدينا عنها وثائق أو معلومات تاريخية ، وفرضوا سيطرتهم على شعب زراعى أقل عدوانية كان يعيش فى تلك المنطقة فى ظل نظام سياسى أكثر بساطة . ويبدو أن عشائر الانتساب إلى الأم كانت هى الجماعات الاجتماعية السائدة عند ذلك الشعب الزراعى . وانسجاما مع الحقيقة التى مؤداها أن رعى الماشية هو من اختصاص الذكور فقط ، ولما كان مورد الحياة الأساسى عند ذلك الشعب هو رعى الماشية ، فيبدو من المحتمل جدا أن النظام السياسى لدى الشعب الوافد كان يقوم على العشائر الأبوية أساسا . ونتيجة لهذا الغزو تعدل التنظيم الاجتماعى للشعب المغلوب برمته بحيث يناسب أنماط التنظيم الموجودة عند الشعب المنتصر . وعلاوة على هذا أصبحت ملكية الماشية والعناية بها علامة من علامات الهيبة (باعتبارها رمزا للجماعة الحاكمة) ، فى حين هبطت مكانة الفلاحة ، بوصفها مهنة الشعب المغلوب . والملاحظ اليوم عند الباجندا أنه برغم أن غالبية السكان تكاد تعتمد اعتمادا كليا على المنتجات الزراعية ، وأن الماشية نادرا ما تستخدم للغذاء فإن اقتناء الماشية فقط هو الذى يميز الأسرة الثرية القوية . أما ملكية الأرض – مهما تكن مساحتها – فلا تضفى إلا قليلا على مكانة الأسرة ، أو لا تضيف شيئا إلى مكانتها على الإطلاق . فربما كان هذا العامل التاريخى – بقلبه المقيم

الأصلية فى المجتمع – علاوة على الأهمية المتزايدة للرجال كمحاربين ومدافعين عن الدولة ، ربما كان ذلك هو سبب هذا التنظيم العشائرى القائم على الانتساب للأب .

ويتضح من هذا العرض الذى قدمه بيلز وهويجر فى كتابهما[١٦] أننا لا نستطيع أن نفسر التأكيد على الانتساب للأب أو الانتساب للأم فى التنظيم العشائرى فى ضوء العوامل الثقافية المعاصرة وحدها . إذ أنه من الممكن أن يوجد فى كل مجتمع بعض العوامل التاريخية الخاصة التى يجب أخذها فى الاعتبار لفهم الثقافة المعاصرة فهما كاملا . ولكنا نلاحظ – من ناحية أخرى – أن الأحداث التاريخية مهما كان تأثيرها الأولى ، لا تغير من الحقيقة التى مؤداها أن مختلف عناصر الثقافة يؤثر بعضها فى بعض تأثيرا حاسما فعالا . فالتحول الذى حدث عند الباجندا من العشائر الأمومية إلى العشائر الأبوية لم يكن ليتحقق ما لم تؤد الظروف الجديدة التى خلقها الغزو إلى احداث تغيرات هامة فى الأنماط الاقتصادية الكلية السائدة فى ذلك المجتمع .

٣ – حلول وسطى توفيقية :

من الواضح أن نظامى القرابة الأبوى والأموى بالصورة التى عرضناها هنا يمثلان فى حقيقة الأمر مركبين ثقافيين اجتماعيين ، تجتمع فى كل منهما عشرات العناصر والوحدات الفرعية بتوليفة مختلفة فى كل حالة على حدة . وقد أدى عرض كل منها بشكل مبسط – وواضح كل الوضوح – إلى تغذية الاعتقاد بأنه بوجود قدر من النقاء والوحدة والانسجام فى المجتمعات التى تأخذ بكل نظام منها ، وذلك ما يخالف الواقع الفعلى فى حقيقة الأمر . بعبارة أخرى يمكن القول بأن كل نظام من هذين النظامين يمثل فى صورته النقية الواضحة نمطا مثاليا ، وليس نمطا واقعيا ، لأن النمط الواقعى يختلف – قليلا أو كثيرا من حالة لأخرى – عن هذا المثال . فتلك الأنماط هى كما يصفها رينيه كونيج[١٧] هى موقف أيديولوجى ، أى موقف مشحون بالمثاليات يحاول السلوك الواقعى الاسترشاد به والتماس الاقتراب منه قدر الإمكان .

لهذا السبب يتجه علم الاجتماع الحديث فى ضوء إنجازات الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية إلى مراعاة الفصل الواضح بين القواعد والمبادئ التى تسود المجتمع فى لحظة معينة من تاريخه وبين السلوك الواقعى (الفعلى) السائد فى هذا المجتمع فى نفس تلك اللحظة التاريخية . وهناك عديد من الكتابات التى اهتمت بهذه النقطة وأقامت الدليل عليها استرشادا بما توصل إليه علم الأنثروبولوجيا

---

(١٦) انظر بيلز وهويجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا (الترجمة العربية) ، مرجع سابق ، ص ص ٤٩٦ – ٤٩٩ .

(١٧) انظر رينيه كونيج ، الأسرة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ – ٢٧ وكذلك المراجع الواردة هناك .

الثقافية من معلومات وما كشف عنه من ملابسات ومواقف واقعية فى مجتمعات شتى على امتداد رقعة كوكبنا الأرضى [١٨])

وقد علمتنا الدراسة الأنثروبولوجية أن الثقافات تنطوى دائما على نمطين رئيسيين من أنماط السلوك هما : الأنماط المثالية ، والأنماط السلوكية (أى الواقعية) . وقد عرف كلاكهون الأنماط المثالية بأنها ما ينبغى أن يفعله أو يقوله أفراد مجتمع معين من مواقف معينة ، إذا ما أرادوا الامتثال الكامل لمعايير السلوك التى تحددها ثقافتهم [١٩] . أما الأنماط السلوكية (الواقعية) فتقوم على ملاحظتنا لما يمارسه الناس فعلا فى مواقف معينة . فنحن نلاحظ أن كثيرا من سكان المدن اليوم يدركون بكل وضوح أن بعض إشارات المرور تتطلب من قائد السيارة أن يتوقف عند أحد التقاطعات ، وينظر بعناية إلى كلا الجانبين قبل أن يعبر التقاطع . ولكننا نجد فى السلوك الفعلى للناس أثناء قيادتهم سياراتهم أنهم يستجيبون لتلك الإشارات استجابات متفاوتة أشد التفاوت [٢٠]) فمدلول إشارة المرور هنا هو عبارة عن نمط مثالى من ثقافة أحد المجتمعات الغربية ، بينما نجد أن السلوك الفعلى لقائدى السيارات إزاء إشارة المرور يمثل أنماطا سلوكية (واقعية) لثقافة ذلك المجتمع .

وتوجد نفس الاختلافات بين الثقافة المثالية والثقافة السلوكية (الواقعية) فى كل مجتمع . وقد

---

(١٨) انظر على سبيل المثال :

William J. Goode, **World Revolution and Family Patterns**, London, 1963, Chap. 2.

And Rene Koenig, «Soziologie der Familie», in: R. Koenig (ed.) **Handbuch der empirischen Sozialforschung**, Vol. II, Stuttgart, 1969, PP. 172 — 305.

(١٩) Clyde Kluckhohn, «Patterning in Navaho Culture», in:

Leslie Spier (ed.) **Language, Culture and Personality**, Menasha, Wiscosin, Sapir Memorial Publication Fund, 1941, PP. 109—130.

نقلا عن بيلز وهويجر ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٢٠) وقد درس فيرنج وكرايز استجابات ١٥٤١ من قائدى السيارات عند احدى اشارات المرور التى تلزم قائد السيارة بالتوقف عند تقاطع معين . وقد توصلت تلك الدراسة الى نتائج مثيرة للاهتمام نوردها فيما يلى :

(ا) ٥,١٪ من المجموع الكلى هم الذين أوقفوا سياراتهم فعلا عند خط التوقف أو قبله بقليل (أى أنهم امتثلوا لتعليمات المرور فى هذه الحالة امتثالا كاملا) .

(ب) ١١,٥٪ من المجموعة المدروسة قللوا سرعتهم الى حوالى من ١,٥ — ٥ كم فى الساعة .

(جـ) ٤٥,١٪ قللوا سرعتهم الى حوالى من ٥ — ١٠ كم فى الساعة .

(د) ٣٥٪ قللوا سرعتهم إلى حوالى ١٠ كم فى الساعة أو مافوق ذلك .

(هـ) ٣٢٪ من مجموع قائدى السيارات تجاهلوا اشارة المرور كلية .

انظر الدراسة التالية :

— Fearing and Krise, «Conforming Behavior and the I Curve Hypothesis», in: **Journal of Social Psychology**, No. 14, 1941, PP. 109—118.

لاحظ أوبلر فى دراسته لإحدى قبائل الهنود الحمر أن الرجل الذى يكتشف أن زوجته تخونه ينتظر منه أن يستجيب استجابة عنيفة وحادة . وفى هذا يقول أوبلر : « إن الزوج الذى يكتشف خيانة زوجته له ولا يبدى مشاعر الحقد والرغبة فى الانتقام ، يعتبر شخصاً عديم الرجولة . فمن المتوقع أن تكون المرأة ، مادامت هى أيسر الأشخاص منالا بالنسبة له ، أن تكون أول من يتعرض لغضبه والضرب هو أقل العقوبات التى يمكن أن يوقعها عليها . وإذا لم يكن هناك من يتشفع لها من قريب أو غيره ، فإنها يمكن أن تفقد حياتها عقابا لها على ذلك ، أو قد تتعرض للتشويه ، أو بتر عضو من أعضاء الجسم . كذلك يصر الزوج بنفس الدرجة على انزال العقوبة بالرجل الذى اعتدى على بيته . وفى هذا يقول أوبلر – نقلا عن أحد أفراد قبيلة الأباتش – : « وبعد أن يعاقب الزوج زوجته أو يقتلها ، يتجه إلى البحث عن الرجل ليقتله » .

إلا أن النماذج الواقعية الفعلية لحالات الخيانة الزوجية التى سجلها أوبلر دلت على أن الزوج المجنى عليه لا يتخذ دائماً مثل تلك الخطوات الحادة المتطرفة . ويقول أبلر فى وصف أحد الأزواج الذى اكتشف خيانة زوجته أنه رغم ما أبداه من ضيق وغيظ شديدين إلا أنه لم يكترث ، واتخذ لنفسه زوجة أخرى(٢١) .

فالأنماط المثالية تمثل الأشياء الواجب اتباعها ، أو المفروض اتباعها ، فى ثقافة مجتمع ما ، كما يبدو ذلك فى أفعال وفى كلام أفراده . إلا أننا نجد أنه ليست جميع الأنماط المثالية تحدد وسيلة واحدة فقط للاستجابة لموقف ما ، فكثير من الأنماط المثالية تحدد وسيلة واحدة فقط للاستجابة لموقف من وسائل الاستجابة لموقف معين . إلا أنها لاتحظى جميعا بنفس الدرجة من القبول(٢٢) .

وإذا طبقنا تلك المبادئ العامة على ميدان القرابة والأسرة الذى نتناوله الآن ، لوجدنا أن

---

(٢١) Morris E. Opler, An Apache Life Way, PP. 409 — 410.

نقلا عن بيلز وهويجر ، المرجع السابق ، ص ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢٢) وقد اقترح كلايد كلاكهون فى مقاله الذى سبقت الاشارة اليه تصنيف الانماط المثالية الى خمس فئات :

١ – الزامية : وذلك عندما لاتتيح الثقافة الا وسيلة واحدة فقط للاستجابة لمواقف معينة .

٢ – مفضلة : وذلك عندما تتيح الثقافة أو تسمح بأكثر من وسيلة لمواجهة الموقف ، ولكن احداها تفضل الاخرى جميعا وتتميز عليها .

٣ – غلبة أو شائعة : وذلك عندما تتيح الثقافة اكثر من وسيلة عن وسائل مواجهة الموقف وتقرها جميعا بنفس الدرجة ، ولكنا نجد احداها اكثر انتشارا مما عداها .

٤ – بديلة : وذلك عندما تتيح الثقافة اكثر من اسلوب من أساليب السلوك ، وتقرها جميعا بنفس الدرجة ، ولايوجد بينها أى اختلاف لامن حيث القيمة ولامن حيث الانتشار .

٥ – محدودة : وذلك عندما لايقر المجتمع بعض أساليب السلوك الا بالنسبة لقطاع معين من أفراد المجتمع ، ويحظره على بقية المجتمع .

النمط الثقافى المثالى ربما يعطى الأب سلطة مطلقة لاتحدها أى حدود على أفراد أسرته ، له شأنها ولا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها ، معنى ذلك أنها فى الواقع العملى ليست مطلقة بحال من الأحوال . إننا نجد أن حق الطلاق مطلق للرجل حسب الشريعة الإسلامية (وإن كانت روح الشرع قد قصرت هذا الحق على ملابسات وظروف معينة ، ولكنه من الناحية الشكلية مطلق للرجل لا يرتهن إلا بإرادته وحده) ولكن الرجل لابد فى الواقع العملى أن يأخذ فى الاعتبار ردود الفعل المتوقعة من أسرة زوجته لو أنه أقدم على سلوكه هذا ، أو ربما يأخذ فى اعتباره بعض المصالح الاقتصادية التى تربطه بزوجته أو أسرتها ، ومن ثم تجعل إقدامه على اتخاذ خطوة الطلاق أمرا يجب أن يحسب له ألف حساب . ويمكن أن نسوق العديد من الشواهد من ميدان الأسرة والقرابة التى تؤيد هذه الحقيقة الواضحة[٢٣] .

ومن الطريف فعلا أن نلاحظ أن الواقع الفعلى يؤكد لنا فى كثير من الحالات أن المجتمع يضع بعض القيود ويفرض بعض المحاذير على نظام القرابة بالانتساب إلى طرف واحد فقط ، الأب أو الأم . ففى نظم القرابة الأمومية (التى تقوم على الانتساب فى خط الأم) تنكسر حدة هذا الأسلوب المتميز من خلال العلاقات التى تتكون فى الواقع العملى بين الرجل (الأب) وأبنائه الذكور ، وفى أغلب الأحيان يحرص الأب على أن يحتفظ لأبنائه بجزء من ميراثه الذى كان من المفروض أن يذهب إلى أولاد أخته (حسب ما يقضى النظام الأمومى فى التوريث) .

ولو حاولنا أن نحلل هذه الظواهر لأدركنا فى المقام الأول أن المعيشة المشتركة من شأنها أن تخلق بعض العواطف والصلات بين الرجل وأبنائه ، على الرغم من أن أخوالهم هم الذين يتحملون نفقاتهم ويوجهونهم ويتحملون مسئوليتهم (بل ويورثونهم) . كما أننا لا نستطيع أن ننكر أن بعض المجتمعات الأفريقية التى كانت تأخذ بالنظام الأمومى قد تأثرت ولا شك بالثقافة الأوروبية التى عايشوها من خلا المستعمرين البيض . ولو أننا لا يمكن أن نتصور حدوث تعديلات أساسية فى هذا النظام العام ، ما لم تكن هناك إرهاصات تبشر بذلك وتوحى به فى الثقافة الأفريقية الأصلية ، وهى مؤشرات تدل على وجود نوع من العلاقة الخاصة بين الأب وأبنائه . وإن كنا يجب أن نلاحظ ونحن فى هذاالصدد أن الرجل لم يكن يجرؤ أن يورث أبناءه سوى تلك العناصر أو الأشياء التى حصل عليها بكده وبمجهوده الخاص ولم يرثها (كالأرض مثلا) . فتلك الثروة التى انتقلت اليه بالميراث عن أمه لا يمكنه أن يتصرف بها إلى أولاده ، وإنما يتحتم عليه أن يورثها لأبناء

---

(٢٣) ضرب ريفيه كونيج فى مؤلفه « الأسرة المعاصرة » امثلة من حياة الأسرة الرومانية القديمة تتصل بتقييد سلطة الأب على أبنائه داخل الأسرة .

أخته أو أخواته . ولذلك فإن الشائع ان يورث أبناءه العناصر المنقولة ، وفى جميع الاحوال تلك التى حصل عليها بجهده الخاص وعن غير طريق الميراث .

كما يجب الإشارة أيضاً إلى أن نظم القرابة الأمومية آخذة فى الانقراض على مستوى العالم كله . وليس فى أفريقيا أو أمريكا فحسب[٢٤] . بل إنه حتى لدى شعب النايارNayar الذى يعيش فى ساحل مالابار (والذى كثيرا ما كتب عنه الكتاب وأشاروا إليه واستشهدوا به) والذى يقترن فيه نظام الانتساب للأم بنظام تعدد الأزواج ، هذا النظام قد اختفى تماما منذ أوائل القرن العشرين . كما اختفى من العالم كله نظام تعدد الأزواج اختفاء كاملا . واختفى نظام سلطة الخال (أو علاقة الخؤولة) ، وإن كان دور الخال فى تلك المجتمعات قد اقتصر اليوم على إدارة ثروة الأسرة والتصرف فيها . ولكن المهم أنه ليس بحكم القانون أى ليس نتيجة إلزام شرعى) ولكن بحكم تيسره فى الواقع[٢٥] .

كما نلاحظ من ناحية أخرى أن سلطة الأب فى النظام الأبوى لم تعد مطلقة كما كان الحال فى الماضى . ولو تساءلنا عن السبب فى ذلك ، لوجدنا أمامنا عديدا من الاحتمالات وكثيرا من الاجابات التى يمكن أن نشير إلى بعضها على عجل . وهذا أمر طبيعى لأن ملابسات كل مجتمع وسمات كل نظام فى الواقع مختلفة ومتباينة ، ومن هنا انفتاح آفاق الإجابة على احتمالات عديدة . وقد تردد كثيرا فى الكتابات الغربية - الأنثروبولوجية والسوسيولوجية على السواء - أن نظام الانتساب للأم مخالف للتصورات الثقافية الغربية الحديثة ، ومن ثم كان الاحتمال أكبر فى أن يختفى بسرعة لدى أول احتكاك مع المستعمرين البيض . ولكن لعلنا لا نغالى إذا قلنا إن المجتمع الإنسانى نفسه لديه نفور مؤكد من الالتزام الصارم بنظام الانتساب فى خط واحد فقط ، أى أن تقوم القرابة على الانتساب للأب دون الأم أو العكس . إذ الحقيقة أن نظام القرابة ذى الخط الواحد

---

(٢٤) George P. Murdock, **Africa,** New York, 1959; Arthur Philips (ed.) **Survey of African Marriage and Family Life,** London, 1953; A.R. Radcliffe - Brown and Daryll **Forde, African Systems of Kinship and Marriage,** London, 1956; William Goode, **World Revolution and Family Patterns,** London, 1963.

(٢٥) انظر مؤلف جود الذى سلفت الاشارة اليه فى الحاشية السابقة ، ص ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، وانظر كذلك

E. Kathlin Gough, Changing Kinship Usages in the Setting of Political and Economic Change Among the Nayars of Malabar, in: **(Journal of the Royal Anthropolical Institute),** 82, 1952. PP. 71 - 87;

- —, «The Nayars and the Definition of Marriage», in: Journal of the Royal Anthropological Institute, 89, 1959 PP. 23 - 34.

- , «Is the Family Universal? The Nayar Case». in N. Bell and E. Vogel, (eds). **A Modern Introduction to the Family,** Glencoe. Ill., 1960, PP. 76 - 92.

— M.S.A. Rao, **Social Change in Malabar,** Bombay, 1957.

يمكن فى غير قليل من الأحيان أن يكون عامل هدم للبناء الاجتماعى[٢٦] . ويؤكد لنا هذا التفسير أنه فى ظل النظام الأبوى كانت هناك دائماً قوى مؤثرة وواضحة تعمل ضد نظام الانتساب فى خط واحد ، وأن المجتمعات الأبوية ، كانت تنجح دائماً فى خلق بعض الحلول الوسطى التى تنتهى إلى شىء من الإنصاف للمرأة . كما أنه حدث كذلك فى بعض تلك المجتمعات أن حل النسب محل القرابة العاصبة .

لقد أشرنا من قبل إلى أن السلطة المطلقة التى يتمتع بها رب الأسرة فى الأسرة الأموية كانت فى الحقيقة قد أصبحت نوعا من المثل الأعلى الثقافى أو الصورة المثالية الثقافية ، ولكن كان يجد منها فى الواقع العملى قوى ومؤثرات أخرى لا تجعلها تبدو بالصورة المطلقة التى يرسمها المثل الأعلى الثقافى . وتأتى مثل هذه المعارضة وتلك القيود من ناحية نسائه ومن ناحية أولاده فى الأسرة . كما أننا يجب أن ننتبه إلى نقطة هامة وهى أن النظم الأبوية لم تكن « أبوية » بنفس القدر أو على نفس المستوى ، أى أن وضع الأب وسلطاته لم يكن متماثلا أو حتى متشابهاً فيها جميعا . وإنما كانت تتفاوت فيما بينها فى درجة خضوعها لسلطة الأب . ولا شك أن الصورة المتطرفة للنظام الأبوى يمكن أن نجدها فى النظام الرومانى القديم وكذلك فى النظام العربى القديم ، حيث بلغت سلطة الأب أقصى مدى معروف لها[٢٧] . أما إذا نظرنا إلى بلاد الإغريق على سبيل المثال فنجد أن النظام الأبوى فيها كان أكثر اعتدالا من النظام الرومانى بكثير ، كما أن دور المرأة كان أوضح وأكثر تأثيرا أيضاً . وقد حاول بعض الدارسين أن يفسر اعتدال النظام الأبوى فى اليونان القديمة وبروز دور المرأة بأن تلك البلاد كانت قد تعرف قبل هذا النظام الأبوى نظاما أموميا ، وأن الامتيازات التى تتمتع بها المرأة ليست سوى بقايا تلك المرحلة الامومية التى عفى عليها الزمن . ومع أن هذا التفسير قد ثبت أنه صحيح بالنسبة لبعض الشعوب الأخرى (كالشعب الكلتى مثلا) ، إلا أن إطلاقه على كل الشعوب التى نجد فيها نظاما أبويا يفسح مكانة بارزة للمرأة سوف يقودنا من حيث لا ندرى إلى إطلاق الاعتقاد بأولوية نظام سيطرة المرأة ، أو فكرة « حق الأم » التى نادى بها باخوفن ، وهو أمر لم يعد يسيغه تقدم العلم اليوم ولم يقم عليه الدليل بهذا الشكل العام المطلق ولذلك يمكن أن نقول إن تحسن وضع المرأة فى ظل نظام أبوى ، يمكن تفسيره بالقول بأسبقية

---

(٢٦) انظر توضيحا لهذه النقطة عند مالينوفسكى :

Bronislaw Malinowski, Marriage, in: **Encyclopaedia Britannica,** Chicago, London, Toronto, Geneva, 1962, p. 943.

(٢٧) لاشك أن تعاليم الاسلام السمحة قد جاءت فخففت من غلو هذا النظام وهذبته ، وجعلته أكثر انسانية ورحمة واعتدالا .

وجود نظام أمومى فى ذلك المجتمع ، ولكن ذلك ليس بالأمر الحتمى أبدا ، لأننا إن نفعل ذلك نخرج من دائرة العلم .

ولكن التفسير الأقوى والأصح لهذه الظاهرة هو الاعتقاد بأن هناك عوامل قوية فعالة تجند نظم القرابة الثنائية وتغذيها (أى الانتساب لكل من الأب والأم فى نفس الوقت ، وذلك على خلاف النسب المزدوج الذى سوف نشرحه فيما بعد) . كما أن هناك بعض الظروف الموضوعية التى تعرفها بعض المجتمعات حيث يعهد بالطفل بعد بلوغه سنا معينة إلى أحد المدربين الحربيين الذى يتعهده لتلقينه فنون الحرب ، فيبعده ذلك الوضع الجديد عن خط الانتساب للأم وعن الانتساب للأب ، ويتخذ الشاب منذ ذلك التاريخ خط انتساب جديد محايد . وهكذا يمكن أن نسوق العديد من الظواهر التى تنطوى على عوامل تخفف من حدة الانتساب فى خط واحد وتجند الانتساب الثنائى ، أو انتسابا فى خط جديد محايد ، فتخفف عن دون قصد من حدة النظام القائم .

٤ – الانتساب الثنائى :

هناك نظام الانتساب الثنائى المعروف عندنا فى العالم المعاصر فى الغالبية العظمى من المجتمعات ، كما كان معمولا به عند أغلب الشعوب فى الماضى أيضاً . وهو لا يقوم على فكرة الانتساب فى خط واحد ، سواء خط الأب أو الأم ، وإنما على الانتساب إليهما معا فى نفس الوقت . وأوضح نموذج له شكل شجرة النسب أو شجرة العائلة التى تتخذ شكلا متناسقا بحسب الانتساب إلى الوالدين فى نفس الوقت .

ونجد هذا النظام بشكله هذا فى بلادنا الشرقية أكثر وضوحا نسبيا منه فى المجتمعات الغربية ، حيث أن الزوجة فى ظل هذا النظام الثنائى تظل محتفظة عندنا بلقب عائلتها بعد الزواج . ولكنه يتميز فى البلاد الغربية بميل إلى ترجيح لجانب الأب ، حيث ينتسب الأولاد وتنتسب الزوجة بعد الزواج إلى عائلة الأب (لقب فقط) . ولذلك يعرف هذا النظام باسم « التسمية بالأب » أو Patrinominal[٢٨] وإن كان رينيه كونيج يسجل ظاهرة الخروج اليوم – بشكل متزايد – على هذا النظام فى كثير من المجتمعات الغربية وبلاد أوربا الشرقية على السواء ، حيث تحتفظ المرأة بعد

(٢٨) تجد دراسة لهذا النظام وتعليقا عليه فى :

Raymond Firth (ed.), **Two Studies of Kinship in London** London, 1956, PP. 33 - 63.

وقد وجه ميشيل بعض الانتقادات الى هذا النظام فى :

Andrée Michel, Notion de famille dans la legislation, 1959, PP. 90 ff.

الزواج بلقب عائلتها ولقب عائلة زوجها فى لقب واحد مركب[٢٩] . ويشير بوجه خاص إلى الوضع فى الثقافات الأسبانية فى شبه جزيرة ايبيريا حيث يمتزج لقب عائلتى الأب والأم معا على الدوام (وليس بشكل استثنائى فقط) فى حين يسيطر على الأسرة النظام الأبوى بصفة عامة .

ولكن من المؤكد أنه رغم وضوح الأساس الثنائى لنظام القرابة فى العالم المعاصر ، فإن نظام التسمية بالأب يعكس بجلاء رواسب نظام أبوى قديم كان يحصر القرابة فى خط واحد فقط . وعلى خلاف هذا الترجيح لخط الأب فى عملية التسمية نجد الأسرة المعاصرة ترجح خط الأم فى ميدان العلاقات والاهتمامات الأسرية ، بحيث يطلق بعض العلماء على الأسرة فى العالم الغربى الحديث (وإلى حد ما فى بلادنا ،ولكن ليس بنفس القدر) يطلقون عليها اسم الأسرة المتمركزة حول الأم . mother — centered

فتعمل المرأة فى الأسرة الحديثة على تنمية ورعاية علاقات أسرتها الجديدة (الأسرة الزواجية) مع أقاربها الإناث والذكور (حسب هذا الترتيب فى الأهمية) . وقد أبرزت تلك الظاهرة وبينتها بجلاء كثير من دراسات الأسرة فى أوربا وأمريكا ، واتفقت أغلبها على تأكيد هذا الاتجاه[٣٠] . ولهذا يحق لنا القول دون مغالاة أن نظام القرابة فى الأسرةالمعاصرة فى الدول الصناعية يتميز اليوم بأنه يلتزم نظام التسمية بالأب ولكنه متمركز حول الأم .

ولكن فيما عدا هذه الظواهر الجانبية أو العارضة فإننا يمكن أن نعمم القول بأن نظام الانتساب الثنائى هو أكثر النظم شيوعا فى الماضى والحاضر على السواء . غير أن هذا الحكم العام يثير قضية

---

(٢٩) فاذا افترضنا مثلا أن آنسة اسمها : منى رشاد قد تزوجت من رجل اسمه : محمد عباس ، فان اسمها بعد الاقتران به سوف يصبح ، منى عباس . ولكن الظاهرة المتكررة اليوم أن تحتفظ الفتاة بلقب عائلتها الى جانب لقب عائلة زوجها ، فيكون اسم تلك الفتاة بعد الزواج من هذا الرجل : منى رشاد — عباس والسبب فى ذلك أن تأخر سن الزواج يتيح للمرأة فى المجتمع الغربى أن تبرز فى ميدان عملها ، وربما بتشهر اسم عائلتها الى جانب اسمها على نطاق واسع (كأن تكون كاتبة أو مؤلفة مثلا) وذلك كله فى مرحلة ماقبل الزواج ، فتعمل على مصالحها الخاصة أن تحتفظ بلقب عائلتها (الى جانب لقب عائلة الزوج) بعد الزواج ، وربما يدعو المرأة الى ذلك المحافظة على لقب عائلتها ، كأن تكون من عائلة عريقة مثلا .. وهكذا . ولكن من الممكن أن يكون احتفاظ امرأة بلقب أسرتها لغير مايسبب ظاهر سوى تأكيد وجودها الى جانب لقب الزوج . ومع ذلك فيجب التأكيد بأن هذا الأسلوب لم يصبح بعد واسع الانتشار ، ولكنه موجود ومتكرر بحيث يستأهل منا وقفة عنده .

(٣٠) انظر الدراسات التالية على سبيل المثال :

Michael Young and Peter Wilmott, **Family and Kinship in East London**, London 1957.

——, **The Symmetrical Family. A Study of Work and Leisure in the London Region**, London, 1973.

— M. Youog and Mildred Geertz, «Old Age in London aod San Francisco», in — **British Journal of Sociology** 12 (1961) PP. 124-141.

— L.A. Shaw, «Impressions of Family Life in a London Suburb», in: **The Sociological Review, N.S., No. 2 1954, PP. 179-194.**

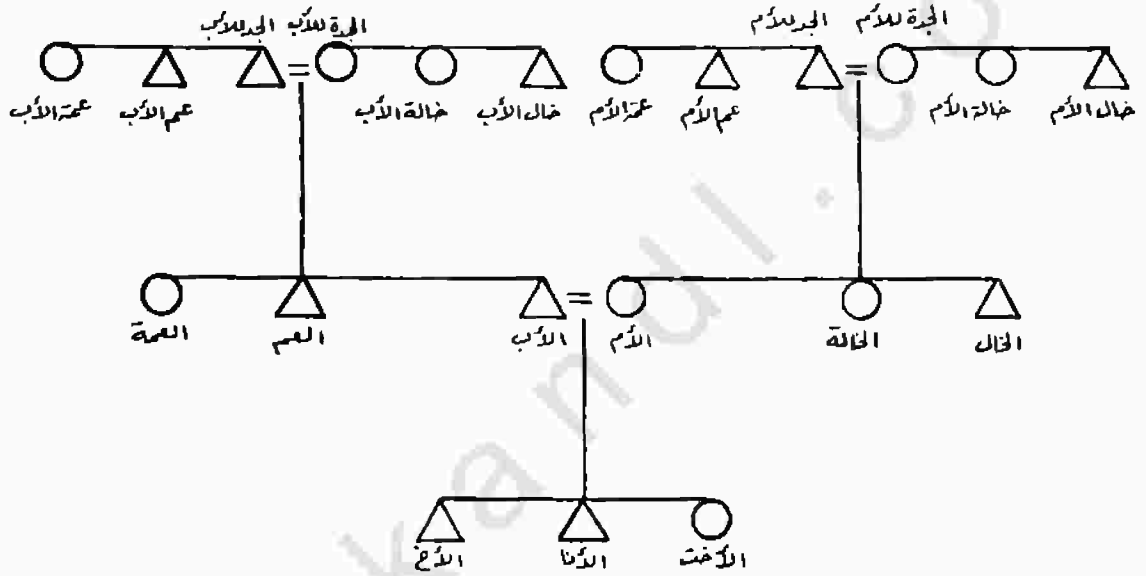

الشكل رقم (٣) : القرابة الثانية :

يمثل الشكل بعض أقارب « الأنا » بحسب قرابتهم له على أساس الانتساب المزدوج . حيث نلاحظ أن أقارب الأب والأم يعدون أقارب له .

المصدر : جيلين وجيلين ، المرجع السابق . صفحة ٢٢٣ .

أخرى تقول أن النموذج السوسيولوجي للقرابة يقترب بذلك اقترابا قويا جدا من النموذج البيولوجي للقرابة ، الأمر الذى يوحى بشدة بتأكيد دور الأسرة كمؤسسة لإنجاب الأطفال وتربيتهم . إلا أننا لو قبلنا هذه الملاحظة الخطيرة لأسقطنا من اعتبارنا أهم ما يميز الأسرة الإنسانية عن الأسرة الحيوانية ، وذلك أن الأسرة عند الإنسان تتفوق فى كونها قد طورت مراتب ومستويات مختلفة للقرابة إلى جانب القرابة الدموية الخالصة (كقرابة المصاهرة) وطورت لها مصطلحات قرابية خاصة بها[٣١] .

وحتى لو سلمنا بأن الإنجاب والتربية يلعبان دورا بارزا فى الأسرة الإنسانية ، فإننا يجب أن نتنبه إلى أن الأساس ليس تلك العملية فى ذاتها ، وإنما يتمثل وجه الأهمية فيما يترتب على تلك العملية وعلى العلاقات القرابية من حقوق وواجبات . وهى أمور تتباين من مجتمع لآخر تباينا شديدا حسب ظروف كل مجتمع ، ولو كانت ترتهن بأمور بيولوجية خالصة ، لما شاهدنا هذا التنوع فى أنماط المعيشة الأسرية بالشكل الذى نعرفه فى كل زمان ومكان . لذلك نؤكد أن محور الارتكاز فى حياة الأسرة ووجه الأهمية فى وجودها هو بعض الاتجاهات والعلاقات والمبادئ التى تعد ذات طبيعة اجتماعية ، مع أنها قد تكون ثمرة بعض العلاقات والعمليات البيولوجية ، ولكنها ليست بحال من الأحوال انعكاسا مباشرا لها .

٥ – نظم قرابة متنوعة :

هناك إلى جانب هذه النظم الرئيسية فى تحديد القرابة نظم أخرى متنوعة أقل أهمية من حيث أنها أقل انتشارا ، أو أنها تمثل صورا مختلفة من بعض النظم الرئيسية التى تحدثنا عنها . فهناك مثلا نظم قرابية ينتسب فيها الرجال إلى أسلافهم الرجال ، وتنتسب فيها النساء إلى أسلافهن من النساء[٣٢] . ثم هناك صورة عكسية للنظام السابق ، حيث ينتسب الرجال إلى أسلافهم من النساء ، على حين تنتسب النساء إلى أسلافهن من الرجال[٣٣] أما النظام الأخير الذى نشير إليه هنا فهو ما يعرف باسم نظام الانتساب المزدوج الذى يرتبط فيه الشخص ببعض أقاربه فى خط الأب وبعض أقاربه فى خط الأم ، كأن يرتبط بجدته لأمه وجده لأبيه (مستبعدا جدية الآخرين : جده

---

(٣١) انظر عرضا لأهم مصطلحات القرابة عند بيلز وهويجر ، مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة ، مرجع سابق ، الجزء الأول ص ٤٦٢ - ٤٦٣

(٣٢) انظر شرحا لهذا النظام عند : J. Roscoe, **The Baganda**, London, 1911.

(٣٣) أوردت مرجريت ميد بعض أمثلة لهذا النظام فى كتابها :

Margaret Mead, **Sex and Temperament In Three Primitive Societies, New York 1935.**

لأمه وجدته لأبيه [٣٤] ، أو أن يتواجد نظاما الانتساب إلى جوار بعضهما فى المجتمع ، فتكون هناك جماعات تقوم على الانتساب للأب ، وأخرى على الانتساب للأم .

وقد عالج بيلز وهويجر نظام الانتساب المزدوج معالجة مفصلة ألقى فيها الضوء على نموذج منه عند شعب الأفيكبو Afikpo نشير إليه فيما يلى ، لأنه يوضح لنا فساد الرأى القائل بأن أساس الانتساب للأب والانتساب للأم لا يجتمعان ، على اعتبار أن وجود أحدهما يعنى عدم وجود الآخر . إذ يوضح لنا مثال الأفيكبو أن هناك بعض المجتمعات التى يعترف فيها بجماعات الانتساب للأب والانتساب للأم على السواء . بل إننا نجد فى بعض الحالات المتطرفة جماعات تحمل سمات مشتركة من النظامين ، تتضمن فى العادة ملكية الثروة أيضاً . وهناك كما رأينا فى المجتمعات ذات نظام الانتساب الوحيد الخط بعض العلاقات الرسمية مع الأقارب الذين ينتمون إلى خط انتساب مختلف . وهناك كذلك مجتمعات درجات وسطى من شكلية هذه العلاقات . ويقصر بعض الكتاب استخدام مصطلح « نظام الانتساب المزدوج » على المجتمعات التى بلغ فيها ذلك النظام قدرا كبيرا من التطور والنمو . فى حين يسمح البعض بادراج كثير من النماذج الوسيطة تحت هذا المصطلح . وهناك شواهد على وجود الانتساب المزدوج فى أماكن متفرقة من العالم ، وإن كانت غالبية الحالات التى وصل فيها هذا النظام إلى الاكتمال موجودة فى قارة أفريقيا .

ويشير بيلز وهويجر إلى دراسة سيمون أوتنبرج Simon Ottenberg أجراها منذ عهد قريب لنظام الانتساب المزدوج عند شعب الأفيكبو ، وهو أحد الشعوب الناطقة بلغة الأيبو فى شرق نيجيريا . ويعيش اللأفيكبو فى مجموعة منظمة من القرى المتجاورة ، التى يربط بينها مكان اجتماعات مشترك ، وأسواق عامة ، وأنشطة دينية مشتركة ، وحكومة محددة تحديدا دقيقاً والأفيكبو شعب زراعى أساسا ، وتبلغ الكثافة السكانية عنده حوالى ٥٠٠ نسمة فى الميل المربع . واليام yam (نوع من البطاطس حلو المذاق) هو المحصول الغذائى الرئيسى عندهم ، كما أنه يمثل عنصرا جوهريا فى جميع الطقوس ، ويقوم بزراعته الرجال . وهناك محصولات أخرى بعضها محصولات تجارية تقوم النساء بزراعتها . ويشتغل كثير من أبناء الأفيكبو بالتجارة بعض الوقت ، على حين يتفرغ نفر قليل فقط لهذه المهنة تفرغا كاملا . وهناك بعض الصور التنظيمية الحكومية على مستوى القرية ، ومستوى مجموعة القرى ، وعلى مستوى الإقليم مثل جماعات مراتب العمر ، والجماعات السرية . كما أن هناك علاوة على ذلك جماعات الانتساب الأبوى والأمومى . وكلا

---

(٣٤) انظر اشارة مفصلة عند :

Murdock, «Double Descent», in: **American Anthropologist** 42,1940,PP. 555-561.

النمطين من جامعة الانتساب محدد تحديدا دقيقا ، له أنماط الزعامة والسلطة الخاصة به المستقرة ، وتضطلع بمختلف أنواع النشاط الطقوسية والاجتماعية ، والإشراف على الثروة .

ويتسمى كل شخص من الأفيكبو إلى بدنة أبويه فرعية ، وهى تمثل بدورها جزءا من بدنه أبوية رئيسية ، يتتبع أفرادها أصلهم إلى جد ذكر مؤسس للبدنة منذ فترة تتراوح فى العادة بين ثلاثة وسبعة أجيال . أما البدنة الفرعية الأبوية فترجع أصلها إما إلى أخ أصغر للأب المؤسس ، وإما إلى أحد أبنائه . ويعيش الذكور من أعضاء البدنة الأبوية والإناث غير المتزوجات عادة فى مجموعة من المنازل المتجاورة المحاطة بسور أو جدار منيع ، داخل قرية تتكون من عدد من مثل هذه الأحياء التى تسكنها بدنات أبوية أخرى . وتعيش كل بدنة فرعية فى قسم خاص من هذا الحى ، ولو أن هذا النمط قد يتعرض للاختلال إذا زاد عدد أفراد البدنة الأبوية . والزواج الاغترابى ليس إجباريا ، وإن كان الفرد لا يتزوج من أقاربه الأقربين ، فيما عدا حالة النساء الأرامل أو المطلقات ، فهؤلاء يتحتم عليهن ألا يتزوجن من خارج الحى ، وإنما من خارج القرية كلها . أما فى الواقع الفعلى فنجد أن غالبية الزيجات تتم من خارج البدنة ، وكذلك من خارج القرية عادة . وقد تعود النساء المتزوجات فى خارج البدنة أو القرية عادة . وقد تعود النساء المتزوجات فى خارج البدنة أو القرية إلى بدنتهن لتقديم الأضاحى والقرابين أو للاشتراك فى الأعياد ، أو إذا اضطربت حياتهن الزوجية . ومن الممكن للأشخاص غير المولودين فى البدنة الأبوية أن يرتبطن بطرق مختلفة ، كما أنه يمكن تبنيهم ويصبحون أعضاء كاملى العضوية .

ويضطلع كبار السن بمهمة الزعامة واتخاذ القرارات فى البدنة الأبوية الرئيسية . أما الكاهن الذى يتوفر على خدمة أضرحة الأسلاف فيختاره كبار السن عادة من بينهم . وهو يعتبر مستشارا هاما فى شئون الطقوس والعبادات ، وفيما عدا هذا فلا سلطان له . أما الشباب فى السن من ٣٨ سنة إلى ٥٥ سنة ، تقريبا فيكونون أعضاء فى مرتبة عمرية تنقسم إلى طبقتين أو ثلاث طبقات عمر . ويشكل أعضاء تلك الطبقة الذين ينتمون إلى بدنة أبوية واحدة قسما خاصا يضطلع بوظائف هامة بالنسبة للبدنة ككل . وتملك البدنات الرئيسية – وفى أحوال قليلة البدنات الفرعية أيضاً – حوالى ١٥٪ من أراضى الأفيكبو . فهم الذين يتخذون كل القرارات النهائية الخاصة بالأعضاء . إذ يفصلون فى المنازعات الداخلية ويعاقبون على الجرائم الخلقية والقانونية ، كما يسهرون على رفاهية البدنة . ويؤدى كهنة الأضرحة المختلفة الشعائر الضرورية لقيام علاقات سليمة مناسبة مع الأسلاف ومع الكائنات فوق الطبيعية . وتقوم جماعة العمر الخاصة بالشباب بتوفير جميع الاحتياجات المادية اللازمة ، وينفذون قرارات كبار السن ، ويحرسون الثروات المادية لأبناء

البدنة . وعلاوة على هذا فلكل بدنة فرعية تنظيم مماثل لتعريف الأمور التى تخص البدنة الفرعية فقط .

ويشكل كبار السن فى البدنات الرئيسية مجلس كبار السن الخاص بالقرية ، ويشكلون جميعا بالإضافة إلى كبار السن الممثلين للقرى المختلفة الجماعة الإدارية التى تضطلع بإدارة شئون قرى الأفيكبو ككل . ويتحمل كبار السن فى القرية مسئولية الإشراف على ثروة القرية ، ويؤدون الشعائر حول أضرحة القرية المختلفة من أجل رفاهية القرية ككل ، ويوجهون الاحتفالات السنوية والطقوس الدورية ، ويحافظون على استمرار حالة السلم بين أبناء القرية . ويعمل أعضاء طبقة العمر الأكبر سنا داخل مراتب العمر كجماعة تنفيذية تضطلع بتنفيذ قرارات كبار السن . وعلاوة على هذه الأنشطة التى تشمل القرية ككل ، يجتمع أبناء البدنات المختلفة فى نطاق جماعة سرية على مستوى القرية تضم – بشكل إجبارى – كل الذكور البالغين . وتقوم هذه الجماعة السرية بأداء الشعائر الدينية والتمثيليات الدينية فى القرية . وبعضها يؤدى علنا أمام الناس .

ومع كل الأهمية التى يتمتع بها التنظيم الأبوى بالنسبة لشئون الحى وشئون القرية ، فإن غالبية شعب الأفيكبو يعتبرون الروابط الأمومية أكثر أهمية . فجميع أبناء الأفيكبو يعتبرون بحكم المولد أعضاء فى حوالى خمس وثلاثين عشيرة أمومية محددة . ولا تقوم هذه العشائر على مبدأ السكنى المشتركة ، إذ نجد أعضاء العشيرة الواحدة ، وكذلك ثروة العشيرة الواحدة ، موزعة فى أماكن متفرقة . والزواج الاغترابى مفروض على أبناء تلك العشائر بشكل صارم . وكانت العشائر الأمومية تلعب فى الماضى دورا بارزا فى الأخذ بثأر قتلاها (والقتل هو اغتيال شخص بواسطة أحد أفراد عشيرة أخرى) ، والعقاب على السرقة ، وحماية ثروة العشيرة وخاصة الأراضى الزراعية التى تملكها .

وكما هو الحال فى البدنات الأبوية توكل شئون الحكم – على مستوى العشيرة الأمومية – إلى كبار السن وكهنة الضريح الرئيسى . إذ يعد هذا الضريح الرمز الأساسى للعشيرة الأمومية ، وإن كان موضعه يتغير من حين لآخر ، لأنه يوجد دائماً فى حى الكاهن . ويقوم كبار السن فى العشيرة بتسوية المنازعات بين أفراد العشيرة ، أو ينوبون عن أبناء العشيرة الداخلين فى منازعات مع أبناء عشائر أخرى .

وعلى الرغم من أن حوالى ٨٥٪ من الثروة الزراعية للأفيكبو مملوكة نظريا للعشائر الأمومية ، فإنه يستأثر بحيازة وإدارة الجانب الأكبر من هذه الأرض بدنات أمومية تضم أناسا يرجعون أصولهم إلى سلف أنثوى مشترك . ويتولى أكبر الأعضاء الذكور فى كل بدنة أمومية نوعا من

الزعامة وإن كانت مهمته الأولى هى توزيع حقوق الانتفاع بأرض البدنة على مختلف أفرادها ، وكذلك على بعض الأشخاص الذين يدعون لأنفسهم الحق فى ذلك ، مثل أزواج « عضوات » البدنة الأمومية ، أو أبنائهن ، أو أصدقائهن ، أو بعض الأشخاص البارزين . وعلى الرغم من أن زعيم العشيرة – أو الشخص الذى يفوضه – يتمتع بسلطة كبيرة فى توزيع الأراضى الزراعية ، إلا أن هذه السلطة ليست مطلقة ، إذ أنه من حق أفراد البدنة أن يلجأوا إلى كبار السن فى العشيرة إذا ما ضاقوا بهذا التوزيع . ونجد عند اناث البدنات الأمومية أن أكبرهن تكون بمثابة زعيمة غير رسمية ، وتعمل مستشارة للنساء المتزوجات أو تساعدهن فى الشئون الطقوسية ، وفى المراسم الجنائزية ، وتؤيدهن فى نزاعهن مع أزواجهن أو مع ضرائرهن (وتنتمى هؤلاء الضرائر عادة إلى عشائر أخرى) .

ولا يدور صراع كبير بين جماعات الانتساب للأم وجماعات الانتساب للأب عند الأفيكبو . بل إننا نجد كليهما يتمم الآخر ، أو يستعاض عنهما ببعض المنظمات الأخرى ، مثل الجمعيات لسرية وجماعات العمر وتنظيم القرية . ويهتم كلا النوعين من الجماعات برفاهية الأسر النووية ويحرص على إنجاب الأطفال . . ومن هنا يمكن أن تقوم روابط هامة مع كلا التنظيمين العشائريين من خلال الميلاد أو الزواج ، وتضع كل من جماعات الانتساب الأبوى والأمومى عند الأفيكبو قيودا على تصرفات أعضائها فيما يتعلق بالسلوك الجنسى ، والزواج ، والمسئوليات الطقوسية ، والتصرف فى الثروة . ولذلك قد يتبادر إلى الذهن أن جماعات الانتساب المزدوج تعرقل إلى حد كبير نشاط الفرد ولكن الواقع القائم فعلا أن الفرد مازال يتمتع بقدر مدهش من حرية الحركة فى سلوكه . حقيقة أنه يجب أن يحصل على الأرض التى سيزرعها من خلال جماعة الانتساب الأمومية أو الأبوية . ولكن من المتيسر له أيضاً أن يحصل على هذه الأرض من خلال بدنته الأبوية ، ومن خلال بدنته الأمومية ، كما أنه يستطيع أن يلجأ إلى بدنة أبيه الأمومية . وبوسع الفرد أن يضم أفرادا غرباء إلى هذه الجماعات كلها من أجل تأييده فى المنازعات ، أو سعيا وراء اكتساب مزيد من المكانة والهيبة ، والحقيقة أن الفرد لا يستطيع فى العادة أن يستثمر أو يطور جميع العلاقات المتاحة له . بل إن عليه أن ينتقى من بين هذه الفرص المتاحة على أساس أكثر العلاقات إرضاء له شخصيا ، وأكثرها مساعدة له على تحقيق أهدافه الاقتصادية والسياسية وطموحه إلى المكانة الرفيعة . ولذلك يبدو نظام الانتساب المزدوج بعد الفحص الدقيق أنه نظام يتميز بالمرونة والقابلية للتكيف والحيوية الكاملة (٣٥) .

---

(٣٥) انظر بيلز وهوبجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ص ٤٩٩ – ٥٠٣ .

٦ – القرابة الخطية (المباشرة) والقرابة الجانبية (غير المباشرة) :

علينا فى دراسة القرابة أن نميز علاوة على ما سبق بين الأقارب الخطيين (المباشرين) والأقارب الجانبيين (غير المباشرين) . والأقارب الخطيون هم فى الغالب عبارة عن أقارب دمويين فى خط مباشر من أعلى (كالأب والأم) أو إلى أسفل (كالابن والابنة) . وإن كانت هناك بعض المجتمعات التى تدخل إلى هذه الفئة طائفة من الأقارب غير الدمويين ، أى الذين لا تربطهم بالشخص صلة دم ، كأن تنسب للشخص ابنا أو ابنة ليس من صلبه ، وذلك عن طريق نظام التبنى ، الذى يجعل الابن بالتبنى كما لو كان ابنا حقيقيا (أى دمويا) ، ومع أن ديننا الإسلامى لم يقر هذا النظام ، ولم يرتب عليه أى حقوق ، إلا أننا نجده مع ذلك واسع الانتشار فى المجتمعات التاريخية والمعاصرة ، على نحو يفوق تصورنا للوهلة الأولى . ولما كانت القرابة الخطية (سواء كانت حقيقية أو افتراضية أى من صنع المجتمع) تتخذ دائماً خطا رأسيا ، فلا يمكن أن يكون للمرء قريب خطى من نفس جيله ، كما يتضح بشكل جلى من الرسم التالى (شكل رقم ٤) .

أما الأقارب الجانبيون (غير المباشرين) فيمكن أن ينتموا إلى نفس جيل الشخص أو إلى أجيال سابقة عليه أو لاحقة له . ولا تقوم بينه وبينهم علاقة التسلسل النسبى المباشر ، فالشخص ليس سلفا ولا خلفا لأخيه أو لأخته ، على الرغم من انتمائهما إلى سلف واحد مشترك . ثم نميز بعد هذا بين أبناء وبنات عمومة وخئولة من الدرجة الأولى أو الثانية أو أبعد من ذلك .

ويجب أن نذكر هنا حقيقة هامة وهى أنه مهما كان الحس التاريخى أو الشعور بالانتماء قويا لدى الفرد ، فإننا نجد فى الواقع الحى أن اهتمامه الحقيقى بالتعرف على أقاربه لا يتجاوز كثيرا من أجيال أسلافه الماضية[٣٦] . فقد أثبتت بعض البحوث النقدية الممتازة التى أجريت على بعض ظواهر القرابة فى انجلترا أنه حتى فى الأسر العالية كان الشخص يحتفظ فى ذاكرته بتصور واضح عن خمسة أو ستة أجيال من أسلافه . وإن كانت دائرة العلاقات القرابية الفعلية أضيق نطاقا من ذلك بكثير . ومع ذلك فإن الشخص يحتفظ فى ذاكرته برصيد كبير من الذكريات والعلاقات الحية مع عديد من أقاربه[٣٧] . ولكن مهما كان عدد تلك الذكريات أو العلاقات كبيرا ، فإنه

---

(٣٦) ولو أن عدد أجيال الأسلاف التى يعيها الشخص ليس ضئيلا بالقدر المبالغ فيه الذى يتصوره بعض المفكرين النظريين فى موضوع الأسرة النووية ، حيث أنهم يؤكدون أنه لاذاكرة الذكريات ولاذاكرة الواقع تتسع لأجيال كثيرة ، ربما جيل الآباء والأجداد فقط ، وهذا بالطبع تطرف ومغالاة لاتؤيده الشواهد الواقعية .

(٣٧) انظر الكتاب الذى أشرف ريموند فيرث على تحريره بعنوان « دراستين للقرابة فى لندن » ، الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ص ٣٣ – ٦٣ .

سيصبح ضئيلا كل الضآلة إذا قسناه بعدد أجيال الأسلاف الفعليين لشخص يعيش بيننا اليوم ، إذ لا شك أنه عمليا لا يقع تحت حصر ، فإن افتراضنا عدم وجود زواج بين الأقارب فإن عدد أسلاف الشخص بعد عشرين جيل يصل إلى ١ر٠٣٨ر٩٧٦ (مليون وثمانية وثلاثين ألفا وتسعمائة وست وسبعين) كما قدرها كونيج [٣٨] . أما ونحن نعرف أن الزواج بين الأقارب منتشر فى الواقع على نطاق واسع ، فإننا يجب أن ننتقص من هذا الرقم كثيرا ، وتختلف نسبة النقص بطبيعة الحال بحسب كثافة الزواج من الأقارب فى الجماعة محل الدراسة . ومن الواضح أن عدد هؤلاء الأسلاف يقل إلى أدنى حد ممكن داخل الجماعات الصغيرة المغلقة ، التى يمكن القول بأنها تمثل أجناسا محلية مستقلة . ولكن عدد الأسلاف يزيد بدرجة كبيرة بالنسبة للفرد داخل المجتمعات الكبرى المفتوحة . ولكن من الواجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن فرص الزواج ليست مفتوحة أمام الفرد (حتى فى المجتمعات الكبيرة المفتوحة) بدون حدود أو قيود ، وإنما يتعين عليه فى العادة أن يختار شريك حياته من بين دوائر معينة . ولا يرجع هذا المنع إلى أى قيود قانونية ، وإنما إلى قيود وضوابط وعوامل من طبيعة اجتماعية . وسوف نناقش هذا الموضوع تفصيلا فيما بعد عند حديثنا عن موضوع « الاختيار للزواج » . ولكن الهدف من تلك الإشارة هو أن دوائر التزاوج ضيقة ومحددة فى العادة حتى فى داخل المجتمعات الكبيرة ، مما يعنى بالنسبة لحديثنا هنا تحديدا نسبيا لعدد أسلاف الشخص .

٧ – الأصهار :

وهناك عدا الأقارب الخطيين والأقارب المجانبين (غير المباشرين) نوع آخر من الأقارب تقوم الصلة معهم على أساس المصاهرة ، هم الأصهار ، وهم ينقسمون بدورهم إلى مراتب قرابية مختلفة ، أى تتفاوت فى درجة « قربها » من الشخص . ولو أن تلك الأوضاع تمثل مشكلة جانبية خاصة ، على أساس أن القرابة لم تكن تدرس حتى عهد قريب ، أو لم يكن يفهم منها سوى القرابة الدموية فحسب ، ولذلك لم يكن الأصهار يعدون أقارب بالمعنى الدقيق للكلمة . غير أن تطور دراسات علم الاجتماع العائلى وكذلك تطور الدراسة الأنثروبولوجية للقرابة قد ألقت حديثا الضوء على فئة الأصهار ، وذلك على أساس أن صهرى (الذى هو زوج أختى وكذلك شقيق زوجتى) تقوم بينه علاقة وبينى ، كما تقوم علاقات بينه وبين أولادى (الأول زوج عمة أولادى ،

---

(٣٨) انظر ربيه كونيج ، الأسرة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠ - ٣١ ، وكذلك المراجع الواردة هناك .

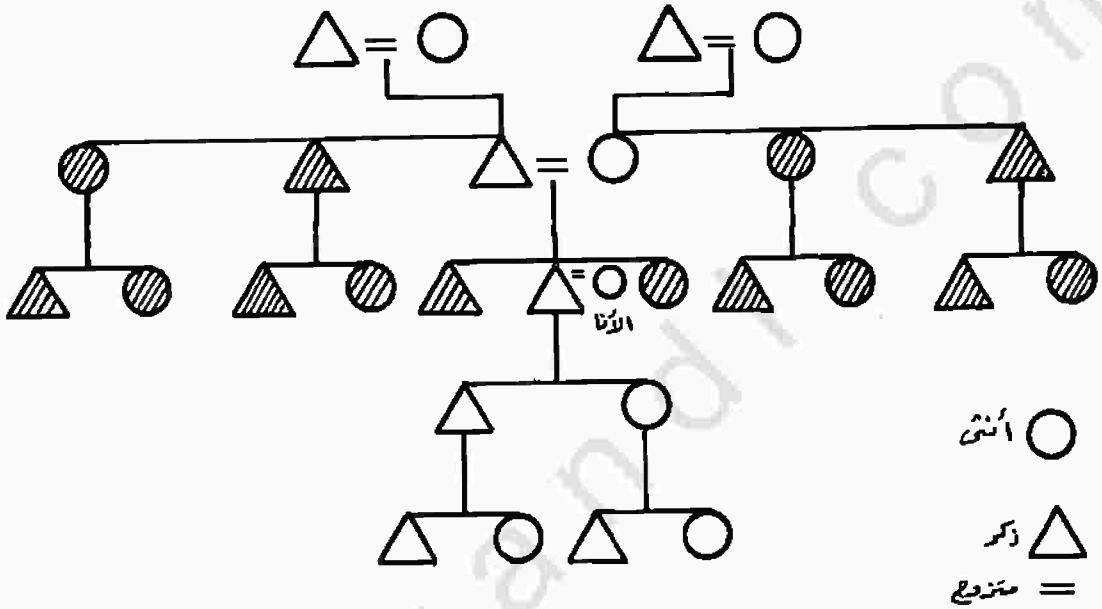

الشكل رقم (٤) :

الأقارب الخطيون (المباشرون) والجانبيون (غير المباشرين) :

يوضح هذا الشكل بعض الأقارب الخطيين لصاحب الشكل مرموزا لهم بالمثلثات والدوائر البيضاء (△ ○) ، وبعض أقاربه الجانبين مرموزا لهم بالمثلثات والدوائر المخططة .

المصدر : جيالين وجيالين المرجع السابق ، صفحة ٢٢٦ .

obeikandl.com

والثانى خال أولادى) [٣٩] . من هنا أصبح من الضرورى جدا دراسة حقوق وواجبات الأصهار وتحديدها والتعرف على دورها فى حياة الأسرة .

ومن الواضح أن اللغات والثقافات المختلفة تتفاوت فيما بينها فى تحديد فئات الاصهار ، أى فى تحديد دوائر الأشخاص الذين تقوم بينهم وبين الشخص علاقات على أساس الزواج . ويبدو هذا الاختلاف بأجلى معانيه فى المصطلحات الدالة على الاصهار بأنواعهم ودرجاتهم ، ولكنها تبدو بنفس القوة فى تحديد فئاتهم ودوائرهم ، ثم تبدو بعد ذلك فى الحقوق والواجبات التى ترتبها على علاقة المصاهرة .

فبالنسبة للمصطلحات الدالة على قرابة المصاهرة فى اللغة الانجليزية مثلا أن الأقارب بالمصاهرة (فيما عدا زوجات الأعمام والأخوال ، وأزواج العمات والخالات الذين يضمون إلى فئات الأقارب الخطيين أو المجانين) يعرفون بإضافة عبارة in law إلى المصطلح الدال على القرابة الدموية . وهكذا نجد تعبيرات مثل Father-in-law للدلالة على الحم و Mother-in-law للدلالة على الحماة ، ومصطلح Brother-in-law للدلالة على شقيق الزوجة وعلى زوج الأخت ، و Sister-in-law للدلالة على أخت الزوجة وزوجة الأخ ، والملاحظ على أية حال أن هذه المصطلحات لاتستخدم فى الحديث المباشر ، وإنما تستخدم فقط لتفسير طبيعة علاقة القرابة للآخرين .

وغنى عن البيان أن اللغة العربية تزخر بأكبر عدد من المفردات والمصطلحات الدالة على فئات الأصهار ، ولا عجب فى ذلك لأنها واحدة من أغنى لغات البشر وأثراها وأكثرها قدرة على التعبير .

ولكى نحيط بموضوع مصطلحات القرابة إحاطة كاملة ، وعلى أساس مقارن ، نرى من المفيد أن نستعرض بإيجاز أهم أسس التصنيف القرابى المعروفة فى مختلف ثقافات العالم التى لدينا معلومات عنها . ويرجع الفضل إلى تقدم الدراسة الانثروبولوجية لموضوع القرابة فى توضيح هذا الموضوع الشائك المعقد ، وقد عرض بيلز وهويجر لأهم أسس التصنيف القرابى نقلا عن الفرد كروبر ، نوردها فيما يلى [٤٠] :

ومن الملاحظ أن كل شعب قد اعتاد على مصطلحات القرابة فى مجتمعه ، بحيث أننا كثيرا

---

(٣٩) استعملت المؤلفة ضمير المتكلم المذكر ، على أساس أن الرجل هو رأس الأسرة ، وان هذا المدخل هو الذى بدا لى أوضح وأيسر فهما لجمهور القراء ، خاصة الجدد على ميدان دراسة القرابة .

(٤٠) بيلز وهويجر ، مقدمة فى الأنثروبولوجية العامة ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ص ٤٦٥ – ٤٦٩ .

ما نفترض خطأ أن مصطلحات مثل : الأب ، والأم ، والابن ، والبنت تعنى دائما نفس المدلول عند جميع الشعوب . ولا شك فى أن هذا خطأ بالطبع ، فكثير من مصطلحات القرابة تشير إلى فئات من القرابة . مثل مصطلحات العم والعمة ، والأخ والأخت ، أو ابن العم . ونظم تصنيف القرابة تتباين تباينا هائلا من مجتمع لآخر .

ويتم تصنيف القرابة وفقا لبعض أسس التصنيف المحددة تحديدا دقيقا ، نذكر من بينها أساس الجيل[٤١] وأساس النوع[٤٢] . وكان الفرد كروبر قد حصر فى إحدى المقالات التى كتبها منذ سنين طويلة ثمانية من الأسس التى يتم تصنيف القرابة وفقا لها[٤٢] . تعد تلك الأسس نموذجا مفيدا لدراسة أولية لموضوع تصنيف القرابة ، ولذلك سنقوم بذكرها وشرحها فيما يلى :

١ – أول الأسس التى حددها كروبر من هذه الأسس الثمانية هو مايعرف باسم أساس الجيل . فالملاحظ على نظام القرابة فى المجتمعات الغربية أن جميع مصطلحات القرابة – فيما عدا مصطلح ابن أو بنت العم Cousin – تقتصر على جيل واحد فقط . فمصطلحات الأب ، والأم ، والعمة (أو الخالة) ، والعم (أو الخال) تنصب على جيل الوالدين ، أما مصطلحا الأخ والأخت فينصبان على جيل الشخص نفسه . ومصطلحات الابن ، والبنت ، وابن الأخ (أو ابن الأخت) ، وبنت الأخ (أو بنت الأخت) تقتصر على الجيل التالى على جيل الشخص نفسه .

٢ – الأساس الثانى فى تصنيف كروبر هو ذلك الذى يصنف الأقارب من نفس الجيل لفروق العمر ويمكن أن نجد نموذجا لذلك عند شعب الناقاهو ، حيث يخاطب الشخص اخوته الكبار بمصطلح معين ، ويخاطب اخواته الأصغر بمصطلح مختلف تمام الاختلاف . كذلك يميز الشخص

---

(٤١) فيما يتعلق بتصنيف القرابة على أساس الجيل ، نجد أن مصطلحات القرابة تقتصر على جيل واحد ، فيما عدا أبناء أو بنات العم (حيث أن هذه الفئة يمكن أن تضم فى بعض الأحيان أفرادا من جيل الأبوين) . وهكذا نجد أربع فئات فى جيل الوالدين هى : الأب ، والأم ، والعم (والخال) ، والعمة (والخالة) . أما فى نفس جيل « س » فهناك ثلاث فئات هى : الأخ ، والأخت ، وأبناء وبنات العم والخال (وكذلك العمات والخالات) . وهناك أخيرا فى الجيل التالى على جيل « س » أربع فئات هى : الابن ، والبنت وابن الاخ أو الأخت ، وبنت الأخ أو الأخت . قارون بيلز وهويجر ، المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٤٢) والأساس الثانى من أسس التصنيف هو ذلك الذى يقسم الأقارب تبعا للنوع (ذكر أو أنثى) . فالوالدان هم : آباء ، وأمهات . كما ينقسم اخوة الوالدين تبعا للنوع إلى : أعمام (وأخوال) ، وعمات وخالات (. ويطبق نفس المبدأ على الأقارب فى نفس جيل « س » فينقسمون الى اخوة ، وأخوات . وهنا أيضا نستثنى مصطلح أبناء العم ، لأنه يطلق على الاقارب من الذكور والأناث . ولكن مبدأ النوع يظل مطبقا بشكل عام على الاقارب فى الجيل التالى على جيل « س » ، حيث نجد أربع فئات هى : الأبناء ، والبنات ، وأبناء الأخ ، وبنات الأخ . قارن ، المرجع السابق ، نفس الموضع .

Alfred L. Krober, «Classificatory Systems of Relationship», in: **Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland**, 39, 1939, PP. 77 - 84 Quoted by Beals and Houjer, op. cit.

هناك بين اخواته تبعا للسن إلى أخوات كبار ، وأخوات صغار . إلا أن أساس السن لا يمتد عند الناغاهو بحيث تنتظم العلاقات القرابية الأخرى . ففى بعض النظم القرابية الأخرى – كما هى الحال عند الياكوى مثلا – يتم التمييز بين إخوة وأخوات الوالدين تبعا لسن أم الشخص وأبيه .

٣ – أما أساس التصنيف الثالث عند كروبر فيتضمن الفروق بين الأقارب الخطيين (المباشرين) Lineal ، والأقارب المجانبين (غير المباشرين) Collateral فالأقارب الخطيون هم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم فى خط واحد ، وهكذا يعتبر الآباء والأبناء فى مجتمعنا أقارب خطيين ، أما الأقارب المجانبون فهم أولئك الذين يرتبطون بشكل غير مباشر من خلال أحد الأقارب الذين يصل بين الخطيين . وهكذا يعتبر العم أو الخال فى مجتمعنا قريبا مجانبا ، لأنه اما أن يكون أخا للأب أو أخا للأم ، كذلك يعتبر أبناء وبنات الأعمام والأخوال أقارب مجانبين لأنهم يرتبطون بالشخص بصلة قرابة غير مباشرة لأنهم أبناء اخوة الأم أو أبناء اخوة الأب . ومن الواضح فى مجتمعنا أنه يتم التمييز بين الأقارب الخطيين والاقارب المجانبين فى جيل الشخص نفسه ، وكذلك فى جيل الوالدين ، وفى الجيل التالى أيضا ، حيث يتم التمييز بين الأبناء والبنات بمصطلحات تختلف عن أبناء الأخ أو الأخت وبنات الأخ أو الأخت .

٤ – والأساس الرابع عند كروبر يرتبط باختلاف نوع القريب (ذكر أو أنثى) . ويبدو هذا الفرق واضحا فى نظام القرابة فى مجتمعنا فى التمييز بين الأب والأم ، والعمة والعم والخالة والخال ، والأخ والأخت ، وابن الأخ ، وبنت الأخ ، والمصطلح الوحيد الذى لايبدو فيه هذا الأساس واضحا فى اللغات الانجلو ساكسونية هو ابن أو بنت العم ، وابن أو بنت الخال ، الذى ينطبق على كافة الاقارب المجانبين من جيل الشخص نفسه بصرف النظر عن نوع القريب (ذكر أو أنثى) .

ويوجد نفس الاغفال لأساس النوع هذا فى نظام القرابة عند الشيريكاهوا الأباتش ، حيث يطلق نفس مصطلح القرابة على جميع اخوة الأب وأبناء العم ، ذكورا كانوا أو إناثا ، وهناك مصطلح آخر يطلق على جميع اخوة الأم وبنات للعم ، ومن الطريف أن نلاحظ أيضا على هذا النظام القرابى أن المصطلح الذى يطلق على إخوة الأب وأبناء العم يتجاهل كذلك أساس الجيل ، لأن الشخص الذكر يستخدمه للإشارة إلى اخوة الأب وأبناء العم وكذلك إلى أبناء اخوته وأبناء أعمامه الذكور .

٥ – ويتضمن خامس أسس التصنيف عند كروبر الفروق فى نوع المتكلم نفسه (الذى يخاطب أقاربه) ، ففى نظام القرابة فى المجتمعات المعاصرة يستخدم الذكور والإناث نفس مصطلحات القرابة . ولكن هناك نظما قرابية أخرى عديدة تختلف فيه المصطلحات بالنسبة للمتكلم الذكر

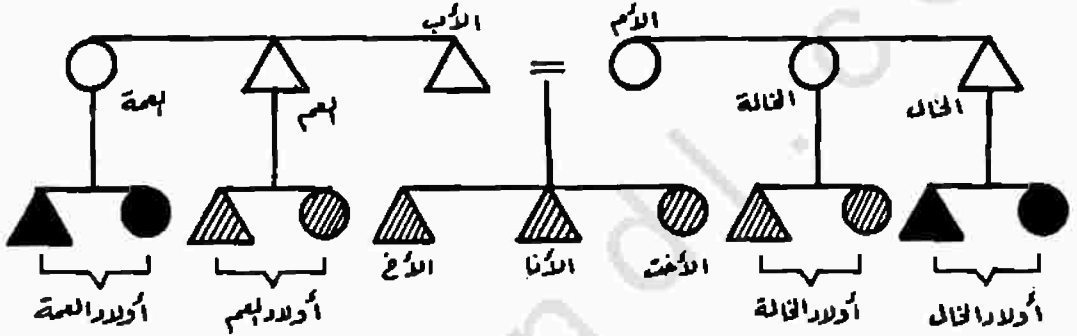

الشكل رقم (٥) :

أبناء وبنات العمومة والخئولة المتوازية والمتقاطعة

يوضح هذا الشكل أبناء العمومة والخئولة من الدرجة الأولى فقط للشخص صاحب الرسم . وقد بين الشكل هذا الشخص وأخاه وأخته وكذلك أبناء وبنات وخئولته المتوازيين بدوائر ومثلثات مخططة ، أما أبناء وبنات عمومته وخئولته المتقاطعين فيشير اليهم الرسم بدوائر ومثلثات سوداء .

المصدر : جيلالين وجيلالين ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

obeikandl.com

والانثى . من هذا مثلا أنه عند النافاهو يخاطب الشخص ابنه بمصطلح يختلف عن ذلك الذى تخاطب به المرأة ابنها . كما أن هناك مصطلحين للبنت : أحدهما يستخدمه المتكلم الذكر ، والآخر تستخدمه المتحدثة الأنثى .

٦ – وينصب الأساس للتصنيف عند كروبر على الفروق فى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل فى القرابة . وقد لاحظنا من قبل أن الأقارب المجانبين هم أولئك الذين يرتبطون بالشخص من خلال قريب معين . والملاحظ على نظام القرابة فى أغلب مجتمعاتنا المعاصرة أن نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل لايترتب عليه أى نتيجة حيث نجد مثلا فى المجتمعات الغربية المعاصرة أن جميع أبناء وبنات العم والخال يجمعون تحت مصطلح واحد هو Cousins .

إلا أن السائد فى مجتمعات أخرى كثيرة هو أن تقسم هذه الفئة (أبناء وبنات العم والخال) إلى جماعتين : الجماعة الأولى هى أبناء العمومة أو الخئولة للتقاطعة cross cousins ، أى أبناء الأخوال والعمات . والجماعة الثانية هى أبناء العمومة أو الخئولة المتوازية Parallel cousins أى أبناء الأعمام والخالات . وواضح أن الفرق بين المجموعتين يرجع إلى نوع القريب الذى يمثل همزة الوصل . فإذا كان هذا القريب الوسيط من نفس نوع القريب (مثلا أخ الوالد – أى العم ، أو اخت الأم – أى الخالة) فإن أبناء هذين الشخصين يعتبران أبناء عمومة وخئولة متوازية ، كذلك عندما يختلف نوع القريب الوسيط عن نوع القريب الذى نصفه ، فأن أبناءه يعدون أبناء عمومة وخئولة متقاطعة .

وتميز كثير من المجتمعات بين أبناء العمومة والخئولة المتقاطعة والمتوازنة باستخدام مصطلحات متباينة . فعند قبائل النافاهو مثلا نجد أن أبناء العمومة أو الخئولة المتوازية يطلق عليهم نفس مصطلح القرابة الذى يطلق على الاخوة ، فى حين يطلق على أبناء العمومة والخئولة المتقاطعة مصطلحات مختلفة تمام الاختلاف .

٧ – أما الأساس السابع فيميز القرابة الدموية عن قرابة المصاهرة . والقرابة الدموية تضم أولئك الذين ينتمون إلى أسرة الشخص نفسه وأسرة أجداده وأحفاده . أما قرابة المصاهرة فتضم أولئك الأقارب من خلال الزواج ، أى أولئك الذين يسبق اسمهم فى مصلحات القرابة الغربية كلمة in-law .

وتكاد كل المجتمعات تميز على نحو أو آخر بين القرابة الدموية وقرابة المصاهرة . ففى المجتمعات الغربية كما أشرنا تصنف غالبية علاقات قرابة المصاهرة فى فئة in-laws كما نجد فى مصطلحات : الحمو Father-in-law والحماة Mother-in-law والصهر brother-in-law وأخت الزوجة

Sister-in-law .. ألخ . إلا أن بعض الأقارب نتيجة علاقة المصاهرة لايصنفون بنفس الطريقة ، حيث نلاحظ مثلا أن زوجات الأعمام والأخوال ، وكذلك أزواج العمات والخالات يطلق عليهم مصطلحا « عمة » و « عم » على التوالى ، على الرغم من أنه لاتربطهم بالشخص المتكلم صلة قرابة دموية .

ويوجد عند شويكاهوا اباتش عادة مصطلحان للدلالة على الأقارب بالمصاهرة . فيخاطب الرجل – أو المرأة – اصهاره بمصطلح يعنى حرفيا : « الشخص الذى أحمل الأعباء نيابة عنه » ، ويخاطب ذلك الشخص فى المقابل بمصطلح يعنى حرفيا : « الشخص الذى حمل الأعباء نيابة عنه » . وهناك فضلا عن هذا مصطلحان يمكن أن يستخدما بين رجل أو امرأة يخاطب صهرا له متقدما فى السن ، ويعنى أحد هذين المصطلحين (وهو يطلق على الصهر الذكر) : « الرجل الهرم (العجوز » » . أما الثانى فيطلق على الأصهار الاناث ويعنى « المرأة التى أصبحت عجوزا » .

٨ – وينصب الأساس الثامن لتصنيف القرابة على الفروق فى المكانة أو الظروف المعيشية للشخص الذى تقوم علاقة القرابة من خلاله ، ويمكن أن نجد نموذجا لذلك عند شعب الشيريكاهوا الأباتش . فعند أولئك الناس ينتقل الرجل ليعيش مع أسرة زوجته بعد أن يتم عقد زواج الذين تربطهم به علاقة مصاهرة . أما إذا توفيت زوجته ، فإن علاقته تتغير من حيث أنه يتحتم عليه أن يتزوج أيا من أخوات أو بنات عمومة أرملته اللاتى لم يسبق لهن الزواج ، ومن ثم يظل بين أفراد الأسرة التى انضم إليها بعد زواجه الأول[٤٤] .

---

(٤٤) انظر بيلز وهويجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ص ٤٦٥ – ٤٦٩ .